منظومة في السير إلى الله والدار الآخرة

للشيخ العلاّمة: عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى

شرح وتعليق/ **أبي المنذر فؤاد بن يوسف أبو سعيد** حفظه الله تعالى

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، **وأشهد** أن محمدا عبده ورسوله، (أرسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص =الله ورسوله= فإنه لا يضرُّ إلا نفسه ولا يضرُّ الله شيئا).

{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}. (آل عمران: ١٠٢)

{**يَا أَيُّهَا النَّاسُ** اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً}. (النساء: ١)

{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً}. (الأحزاب:٧٠، ٧١)

أما بعد: فإن خيرَ الكلامِ كلامُ الله، وخيرَ الهديِ هديُ محمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النار،

أعاذنا الله وإياكم من البدع والضلالات، وكل ما يغضب رب الأرض والسماوات، اللهم آمين.

بداية؛ ما الذي جاء بكم إلى هنا؟ في هذا الوقت، **وفي هذا اليوم؟** وليس لنا إلا إحسان الظنِّ، أن يحسن المسلم الظن بأخيه المسلم، فالمجيء للعلم، والبحث عن كلمةٍ يريد طالب العلم أن يتذكرها، إن كان نسيها، أو يتعلمها إن كان قد جهلها.

أسأل الله عز وجل أن يكون مع هذا العمل، الإخلاصُ لله سبحانه وتعالى، **فما الذي** دفعك وأخرجك من بيتك إلا وجه الله سبحانه وتعالى، لا تريد جزاء من الناس ولا شكورا.

وهذا اليوم العلمي الذي يوافق الثاني عشر من ربيع الأول لعام خمس وثلاثين وأربعمائة وألف من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، واخترنا هذا اليوم؛ **لأنهم يقولون:** تتوقف فيه الدوائر والمؤسسات وما شابه ذلك عن العمل، فنختار هذه الأيام لا لخصوصيَّةٍ فيها، وإنما لأمر طارئ تقتضيه أعمالُنا والتزاماتنا.

ثم إن موضوع هذا اليوم العلمي هو صفاتٌ وخصالٌ لمن يريد الله سبحانه وتعالى والدار الآخرة، باختصار شديد جدًّا، وإلا فمن أراد الله والدار الآخرة، أمامه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم يغني عن مثل هذه الأمور، لكن هنا شيء مقتضب مختصر، وفيه التذكير للناسي واليقظةُ للغافل.

ولماذا اخترنا هذه المنظومة؛ منظومةُ السيرِ إلى الله والدار الآخرة، للشيخ السعدي رحمه الله؟

هذا كان ديدنُ العلماء؛ أنهم كانوا إما ينظمون أو ينثرون ما فتح الله عليهم به، حتى يسهل على طالب تلقيها، ويسهلَ حفظها، وأداؤها وفهمُها وتبليغُها، وكلُّها من كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

السير إلى الله والدار الآخرة...

السير نوع من المشي، **{قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ}**. (الأنعام: ١١)، هذا السير للتدبر والتفكر، أما لطلب الرزق والمعاش قال سبحانه: **{فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ}**. (الملك: ١٥)، فالسير يحتاج إلى السعي، والسعي أسرع من المشي، **والدنيا** تحتاج إلى مشي، **أما الآخرة** فتحتاج إلى سير وسعي، والمشي في الدنيا في مناكبها؛ بين الجبال، بين السهول والهضاب، في البر والبحر يبحث الإنسان عن رزقه.

بينما السير إلى الآخرة، قد لا يكلفه من المشاقِّ والمتاعبِ ما يتكلفه صاحب الدنيا، السيرُ إلى الآخرة بذكر الله، لا يكلفك شيئا، بأن تكون عقيدتُك وتوحيدُك خالصا لله عزَّ وجلّ، فلا يكلفك شيئا، أن تقوم تصلي ركعتين خفيفتين في جوف الليل، أن تواظب على صلاة الجماعة، لا يكلفك شيئا، إن كان عندك مالٌ تزكيه بشروطه المعينة، فهذا تزكيه كل عام مرة، وهناك أمور شاقة كالحجِّ والعمرة، وكذلك أمور تكلف الإنسان دمه وماله، كالجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى.

إذن؛ السير إلى الله والدار الآخرة ليست شعبةً واحدةً، وإنما شُعَبٌ كثيرةٌ جدا، والله سبحانه وتعالى يعلم سرائرَ عبادِه؛ فهو خلقهم ضعفاء، فلربما إنسانٌ ينشط في أمرٍ معين فيكثِرُ منه، ويضعف عن أمر آخر فيقلُّ منه، بعض الناس عنده نشاط في الصيام مثلا، وآخر ليس عنده نشاط في الصيام، عنده نشاط في طلب العلم، وآخر عنده نشاط في قيام الليل، في الحج والعمرة، في الصدقات وبناء المساجد، كلٌّ بقدره وبحسبه.

فهنا الله العليم بعباده، جعل هذه العباداتِ، من شاء فليأخذ مما شاء من هذه العبادات، لذلك باب الجنة بابٌ واحد للداخلين، هو باب عام للدخول؛ **لكنْ!** بعده ثمانيةُ أبواب: باب للصلاة، وباب للصيام، وباب للزكاة، وما شابه ذلك.

ففي يومنا هذا إن شاء الله سنتناول شيئا من هذه الصفات بعمومها وليس بخصوصها، وكأن الشيخ -السعدي رحمه الله تعالى- يريد أن يرسمَ لك **طريقَ السير إلى الله والدار الآخرة،** هذه الطريق على جَنَبَاتها الصفاتُ والخلالُ التي تساعدك على معرفة الوصول إلى نهاية الطريق؛ إلى الله سبحانه وتعالى، والشيخ عبد الرحمن بن ناصر ابن سعدي – كما يقال- أو السعدي، وهذا المعروف والمتداول، صاحب الكتب المشهورة، قد نظم هذه الأبيات.

قال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى:

١) سَعِدَ الَّذِينَ تَجَنَّبُوا سُبُلَ الرَّدَى *** وَتَيَمَّمُوا لِمَنَازِلِ الرِّضْوَانِ

٢) فَهُمُ الَّذِينَ أَخْلَصُوا فِي مَشْيِهِمْ *** مُتَشَرِّعِينَ بِشِرْعَةِ الإِيمَانِ

٣) وَهُمُ الَّذِينَ بَنَوْا مَنَازِلَ سَيْرِهِمْ *** بَيْنَ الرَّجَا وَالْخَوْفِ لِلدَّيَّانِ

٤) وَهُمُ الَّذِينَ مَلا الإِلَهُ قُلُوبَهُمْ *** بِوِدَادِهِ وَمَحَبَّةِ الرَّحْمَانِ

٥) وَهُمُ الَّذِينَ أَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِهِ *** فِي السِّرِ وَالإِعْلاَنِ وَالأَحْيَانِ

٦) يَتَقَرَّبُونَ إِلَى الْمَلِيكِ بِفِعْلِهِمْ *** طَاعَاتِهِ وَالتَّرْكِ لِلْعِصْيَانِ

٧) فِعْلُ الْفَرَائِضِ وَالنَّوَافِلِ دَأْبُهُمْ *** مَعَ رُؤْيَةِ التَّقْصِيرِ وَالنُّقْصَانِ

٨) صَبَّرُوا النُّفُوسَ عَلَى الْمَكَارِهِ كُلِّهَا *** شَوْقاً إِلَى مَا فِيهِ مِنْ إِحْسَانِ

٩) نَزَلُوا بِمَنْزِلَةِ الرِّضَى فَهُمْ بِهَا *** قَدْ أَصْبَحُوا فِي جُنَّةٍ وَأَمَانِ

١٠) شَكَرُوا الَّذِي أَوْلَى الْخَلاَئِقَ فَضْلَهُ *** بِالْقَلْبِ وَالأَقْوَالِ وَالأَرْكَانِ

١١) صَحِبُوا التَّوَكُّلَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ *** مَعَ بَذْلِ جُهْدٍ فِي رِضَى الرَّحْمَانِ

١٢) عَبَدُوا الإِلَهَ عَلَى اعْتِقَادِ حُضُورِهِ *** فَتَبَوَّءوا فِي مَنْزِلِ الإِحْسَانِ

١٣) نَصَحُوا الْخَلِيقَةَ فِي رِضَى مَحْبُوبِهِمْ *** بِالْعِلْمِ وَالإِرْشَادِ وَالإِحْسَانِ

١٤) صَحِبُوا الْخَلاَئِقَ بِالْجُسُومُ وَإِنَّمَا *** أَرْوَاحُهُمْ فِي مَنْزِلٍ فَوْقَانِي

١٥) أَلاَ بِاللهِ دَعَوْتَ الْخَلاَئِقَ وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا *** خَوْفاً عَلَى الإِيمَانِ مِنْ نُقْصَانِ

١٦) عَزَفُوا الْقُلُوبَ عَنِ الشَّوَاغِلِ كُلِّهَا *** قَدْ فَرَّغُوهَا مِنْ سِوَى الرَّحْمَانِ

١٧) حَرَكَاتُهُمْ وَهُمُومُهُمْ وَعُزُومُهُمْ *** لِلَّهِ، لاَ لِلْخَلْقِ وَالشَّيْطَانِ

١٨) نِعْمَ الرَّفِيقُ لِطَالِبِ السُّبُلِ الَّتِي *** تُفْضِي إِلَى الخَيْرَاتِ وَالإِحْسَانِ

هذه هي المنظومةُ التي إن شاء الله سنتناولها بالشرح والبيان، على قدر الطاقة والاستطاعة، مستشهدا بآياتٍ وأحاديثَ ونحو ذلك، وما يجودُ به الرحمن على هذه الذاكرةِ الضعيفة.

الشيخ بذاته رحمه الله –الذي نظم هذه المنظومة– شرح أبياتها شرحا موجزا ومختصرا.

الشرح:

الجلسة الأولى: صفات أهل السعادة

١) الابتعادُ عن طرقِ الغوايةِ وأهلِها، واتباعِ طرقِ الهدايةِ وأهلِها.

١) سَعِدَ الَّذِينَ تَجَنَّبُوا سُبُلَ الرَّدَى * وَتَيَمَّمُوا لِمَنَازِلِ الرِّضْوَانِ**

هؤلاء هم الذين وصفهم بالسعادة، فقال: **سعد الذين تجنبوا سبل الردى، وتيمموا** أي قصدوا لمنازل الرضوان، وهذا البيت نستطيع أن نضع له عنوانا، وهو: (**الابتعاد عن طرق الغواية وأهلها، واتباع طرق الهداية وأهلها**)، وطرقُ الهدايةِ لا تكونُ إلاَّ عن طريق النبي صلى الله عليه وسلم، وإن ادعى كثيرٌ من الناس محبَّةَ اللهِ عزَّ وجلَّ، وادعى كثير من الناس السير إلى الله سبحانه وتعالى، لذلك قال سبحانه: **{قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}**. (آل عمران: ٣١)، فليست المسألة مسألة دعوى وادعاء، وإنما هي حقيقة واتباع، لذلك بيَّن الأمرَ في قوله سبحانه وتعالى: **{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}**. (الأنعام: ١٥٣).

إذن هناك سُبُلٌ، لذلك نقول: السير على طريق واحد، السيرُ إلى الله والدار الآخرة على طريق معيَّن، والسير على سبيل، لكن على جانبي هذا السبيلِ سُبُلٌ، على كل رأس منها شيطان، فسبيلُ هوى الشهوات، وسبيل هوى الشبهات، **فالشهوات أهون حالا من الشبهات**؛ لأن الشبهاتِ في صميمِ الدين تنخر، بينما الشهوات أشياء في الدنيا، ولا تصيب المقتلَ من الإنسان، فإصابة الإنسان في رأسه، وفي قلبه يختلف عن إصابته في إصبُعه، وفي رجله، **فالشبهات** تصيب دين الإنسان في مقتل، **أما الشهوات**؛ فهذه -سبحان الله!- كثير من المسلمين لا يستطيع أن يتحرَّز منها، يقع فيها، وأقلُّها النظرة، أو الفكرة، ونحو ذلك، فهذه لا تقدح في صميم الدين.

أما الشبهة؛ كشبهة العقائد الفاسدة، والعياذ بالله، شبهة ما يشوب التوحيد من أمور الشرك الخفي أو ما شابه ذلك، هذه شبهاتٌ يصعب جدا التخلص منها؛ لأن الإنسان يظن أنه يعبد الله حقا، بخلاف العاصي؛ فالذي وقع في الشهوة يعلم أنه مخطئ، وذاك يرتكب الشبهة ويظن أنه هو الوحيد الذي على الصواب، وغيرُه على الخطأ، إذن هناك سبل كثيرة جدا، حول الصراط المستقيم، حول هذا الإنسان الذي يسير إلى الله والدار الآخرة.

قال سبحانه: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا}**. (النساء: ٥٩)، فطاعة الله وطاعة الرسول، هي البيان لهذا السير إلى الله عز وجل، **ومن الذي يدلك على الله؟** إلا الله في كتابه، والرسول صلى الله عليه وسلم في سنته، وورثتُه العلماءُ من بعده، هم الذين يدلونك على الصراط المستقيم، وغيرُهم يقعُ منهم التيه، يتيه الإنسان، **{يتيهون في الأرض}**، لذلك ورد عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: [خطَّ لنا رسول الله

صلى الله عليه وسلم يوماً خطاً =أي خطا مستقيما معتدلا= ثم قال: هذا سبيل الله، ثم خطَّ خطوطاً عن يمينه وعن شماله، ثم قال: هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: **{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}**. الآية، رواه الدارمي وأحمد والنسائي وقال الألباني: حديث صحيح.

إذن فالمسألة؛ مسألةُ اتباعٍ لا ابتداع؛ أي لا تبتدع في دين الله شيئا جديدا، في الدنيا ابتدع كما شئت، اخترع وابتدع وكن مبدعا في دنياك، أما في أخراك فلا، فقد كفيت، {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا }. (المائدة: ٣)، قواعد وأسس في السنة والبدعة (ص: ٢٠).

[وعن الفضيل بن عياض رحمه الله قال: اتبع طرق الهدى، ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة، ولا تغتر بكثرة الهالكين. ذكره الشاطبي والسيوطي].

إذن؛ هذا من السلف الصالح الفضيل بن عياض، يحثك على اتباع طريق النبي صلى الله عليه وسلم، طرق الهدى، (لا يضرك): أي لا تتأثر بقلة السالكين؛ لأنه ما وردت الكثرة في كتاب الله عز وجل، إلا للذم: **{وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ}**. (هود: ١٧)، **{وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ}**. (يوسف: ١٠٣)، **{وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ}**. (يوسف: ١٠٦).

وما وردت القلَّةُ إلا للمدح، **{وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ}**. (سبأ: ١٣)، **{إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ}**. (ص: ٢٤).

٢) من صفاتهم الإخلاص لله تعالى، والعمل الصالح باتباع النبي صلى الله عليه وسلم.

٢) فَهُمُ الَّذِينَ أَخْلَصُوا فِي مَشْيِهِمْ * مُتَشَرِّعِينَ بِشِرْعَةِ الإِيمَانِ**

في هذا البيت؛ هم الذين أخلصوا في مشيهم، رسم طريقا ومسيرا إلى الله وهذه الصفة جعلها لهم في الشق الأول من البيت؛ الإخلاص، أخلصوا في مشيهم، إذن فهم ليسوا جالسين، بل ماشين سائرين.

لكن في هذا السير عندهم إخلاص، وهذا السائر لابد أن يتزود بزاد معه، فقال: متشرعين بشرعة الإيمان، يعني الشريعةَ التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم، هذا الذي يحدو بهؤلاء الناس في الإخلاص –نسأل الله أن نكون

منهم- وفي التمسك والاتباع، وننظر إلى المنافقين، **{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا}** أي أصلحوا في أعمالهم بعد التوبة **{وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ}** أي بدين الله سبحانه وتعالى **{وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ}** في هذه التوبة، وفي هذا الإصلاح، وهذا الاعتصام كل ذلك فعلوه بإخلاص، نية خالصة لله سبحانه وتعالى، فالنية التي يفتقدها العمل يكون العمل فيها خاويا، لا فائدة فيه، كإنسان يبني برجا من الثلج، فالبرج معروف أنه من الإسمنت المسلح بالحديد، لكن هذا بناه من الثلج، لم تلبث أن تطلع الشمس عليه، فتكشف عواره ويسيح، وهذا الذي يتشيخ، ويجعل نفسه عالما، أو متدينا، أو زاهدا أو ما شابه ذلك دون إخلاص، من رآه يقول: هذا صحابي من الصحابة، صالح من الصالحين، ولكن والعياذ بالله ليس لله، بل لأمر آخر، هذا لا ينفعه عند الله عز وجل.

متشرعين بشرعة الإيمان، لكن الإخلاص **أين؟** وهم الذين أخلصوا في مشيهم، كذلك لو كان إخلاصٌ لله سبحانه وتعالى في العمل، لكن ليس على هدي النبي صلى الله عليه وسلم، لم يعرفه الصحابة والتابعون والسلف الصالح، كذلك هذا لا ينفع صاحبه، وإن كان مخلصا، إذن لابد من تطابق الأمرين في أي عمل من الأعمال **{فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا}**. (النساء: ١٤٥- ١٤٦).

وقال سبحانه: **{إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ}** ما معنى (اعبد الله) هنا؟ الاتباع للنبي صلى الله عليه وسلم، اعبد الله بما أمر الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم **{مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ}** أن يكون هذا الإخلاص التوحيدي لله سبحانه وتعالى في هذا العمل **{أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ}** ننظر الطائفة الأخرى، قال سبحانه: **{وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ}** إذن هنا عبادة لغير الله سبحانه وتعالى **{مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ}**. (الزمر: ٢- ٣)، حكم عليهم بالكذب والكفر، **لماذا؟** لأنهم عبدوا غير الله، توجهوا بأعمالهم لغير الله سبحانه وتعالى، لذلك هؤلاء الذين أخلصوا لله في مشيهم، ممتثلين أمر الله سبحانه وتعالى، كل فرد منهم ممتثل أمر الله لرسوله صلى الله عليه وسلم، قال سبحانه: **{قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ}**. (الزمر: ١١)، وقال سبحانه: **{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ}**، والحنف معناه: الميل، أي ميلٌ عن الطرق الباطلة التي تكلَّمنا عنها، عن يمين الصراط وعن يساره،

يميلون عن الباطل إلى الحق، عن الشرك إلى التوحيد، عن البدعة إلى السنة **{وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}**. (البينة: ٥).

ومع الإخلاص -أيضا كما قلنا- لا بد من صلاح العمل، **وما هو هذا العمل الصالح؟** ما كان موافقا لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، موافقا في العبادة لله عز وجل، لا يقبل صلاةً محدثة، ولا صياما جديدا، ونفقاتٍ مبتدعة، لابد أن تكون لها أصل في كتاب الله، وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، لذلك جمع هذه في قوله سبحانه وتعالى، في أواخر سورة الكهف: **{فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ}** يريد أن يلاقيه، لأنه سار، سائر إلى الله سبحانه وتعالى والدار الآخرة، يريد أن يلاقي بعد السير، **فماذا يعمل؟** أمران **{فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا}** هذا هو الاتباع للنبي صلى الله عليه وسلم **{وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}**. (الكهف: ١١٠)، هذا هو الإخلاص.

وقال سبحانه: **{إِلَّا مَنْ تَابَ}** هنا الإخلاص **{وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا}**. (الفرقان: ٧٠).

والحديث الذي تحفظونه، الذي يعتبر من أفراد عمر رضي الله تعالى عنه، فقد ثبت عن عُمَر بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى المِنْبَرِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**». البخاري (١).

٣) من صفاتهم وهم سائرون على الصراط المستقيم يرجون ثواب الله ويخافون عقابه:

٣) وَهُمُ الَّذِينَ بَنَوْا مَنَازِلَ سَيْرِهِمْ * بَيْنَ الرَّجَا والْخَوْفِ لِلدَّيَّانِ**

وهذا أيضا جعلت له عنوانا، وهو: من صفاتهم وهم سائرون على الصراط المستقيم يرجون ثواب الله ويخافون عقابه، ليس عندهم أمنٌ من مكرِ الله، ولا اغترارٌ ولا عُجبٌ بأعمالهم، **لا**؛ بل يرجون رحمته ويخافون عقابه، ومع ذلك عندهم حسن ظنٍّ بالله، فيفعلون الطاعات، وهم يحسنون ظنهم بربهم أن يعطيَهم الخيرات، جمعوا بين الخوف والرجاء، هم سائرون على الصراط المستقيم؛ يرجون ثواب الله ويخافون عقابه.

وهم الذين بنوا منازل سيرهم؛ المنازل جمع مترلة، التي يقف عندها ويستريح فيها، ثم يمشي ليتزود إلى المترلة التالية، فهذه المنازل مبنية على ماذا؟ على مترلة الرجاء، وعلى مترلة الخوف من الله سبحانه وتعالى، وهم يعملون الصالحات،

وليس الخوف من سيئات فعلوها، إنما هي من أعمالهم الصالحة؛ هل قبلت أم لا؟ كما سنعلم، انظر إليهم، فهؤلاء هم السائرون إلى الله، قال سبحانه: **{أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا}**. (الإسراء: ٥٧).

وقال سبحانه كما في سورة النور: **{رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ}** وهؤلاء ماذا يفعلون؟ **{يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ}** مع أن الدنيا لم تلههم ولا البيع، ولا التجارة عن ذكر الله، وهم مع ذلك يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار، **{لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}**. (النور: ٣٧- ٣٨).

وقال سبحانه: **{وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ}**. (النحل: ٥١)، فهم يسمعون هذه الآيات، فزادهم في مسيرهم إلى الله سبحانه وتعالى والدار الآخرة، الرهبةُ من الله، والرهبةُ نوع من الخوف، قال سبحانه: **{فَاسْتَجَبْنَا لَهُ}** من هو؟ إنه زكريا عليه السلام **{وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ}** لأنها كانت كبيرةً في السن عقيم، لا تلد، لكن أصلحها الله عز وجل، ليرزقها الولد الصالح، **{إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ}** ليس في المعاصي، إياك أن تقول: إن الخوف اليوم لا يكون من معصية، هذا سيصبح خوفا مضاعفا، لا؛ لأن الخوف يكون من عدم القبول، **{وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ}**. (الأنبياء: ٩٠).

إذن جاءت الرغبة، وجاء الخوف، وجاء الخشوع، كل هذا مطلوب، **{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ}**. (الأنفال: ٢)، والخشوع والوجل أثناء الطاعة، **{وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ}**. (المؤمنون: ٦٠)، ويوم القيامة **{قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ * أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ}**. (النازعات: ٨، ٩)، يوم القيامة ترتجف مما ترى، فهم رأوها رأي العين بقلوبهم في الدنيا الآن، فهم في خوف من الله عز وجل، **{قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ}**. (المؤمنون: ١، ٢)، قال سبحانه: **{تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}**. (السجدة: ١٦).

وقال سبحانه: **{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ}**، انظر إلى هذه الصفات العظيمة جدا، إيمان وهجرة وجهاد، **{أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}**. (البقرة: ٢١٨).

وقال سبحانه: **{إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ}** يرجون! ما جزم بالأمر؛ كأن يقول نحن على الجنة حذف، -كما يقولون- فنحن من أهل الجنة، لكن هؤلاء يرجون رحمة الله سبحانه، **{يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ * لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ}**. (فاطر: ٢٩- ٣٠).

وقال سبحانه: **{أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ}**، خوف من الجليل سبحانه، **{وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ}**. (الزمر: ٩).

وانظر إلى نتيجة ذلك؛ إذا سار السائر إلى الله عزّ وجلّ في عبادة من العبادات، ولنقل عبادة الحجِّ مثلا، وانظر إلى رجاء رحمته، يرجون رحمة الله حتى في سيرهم إلى هذه العبادة، (وفي الحجّ قال صلى الله عليه وسلم) للحاج الذي خرج من بيته قاصدا الحج: «**أما خروجك من بيتك تؤم**" أي تقصد "**البيت الحرام فإن لك بكل وطأة**" الوطأة هي الخطوة أي سعة ما بين قدميك عند المشي، "**تطؤها راحلتك؛ يكتب الله لك بها حسنة، ويمحو عنك بها سيئة؛ وأما وقوفك بعرفة فإن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا فيباهي بهم الملائكة**، فيقول: هؤلاء عبادي جاءوني شعثا غبرا من كل فجٍّ عميق، يرجون رحمتي، ويخافون عذابي و لم يروني، فكيف لو رأوني؟" هؤلاء هم السائرون إلى الله عز وجل حقًّا، فهم ليسوا سائرين إلى ملهىً أو خمارةً، أو إلى مكانٍ للدعارة، ونحو ذلك، يرجون رحمة الله ويخافون عقابه أبدا، لاحظوا هذه اللفتة المهمة جدًّا، يعملون الصالحات ويخافون من الله عزَّ وجلّ، "**فلو كان عليك" أيها الحاج! "مثل رمل عالج**"، يقال: إن هذه رمالٌ ممتدة طويلة جدا، في صحراء الدهناء.

قال الفيومي في مصباحه المنير في غريب الشرح الكبير (٢/ ٤٢٥): [وَرَمْلُ عَالِجٍ؛ جِبَالٌ مُتَوَاصِلَةٌ يَتَّصِلُ أَعْلَاهَا بِالدَّهْنَاءِ، وَالدَّهْنَاءُ بِقُرْبِ الْيَمَامَةِ، وَأَسْفَلُهَا بِنَجْدٍ، وَيَتَّسِعُ اتِّسَاعًا كَثِيرًا؛ حَتَّى قَالَ الْبَكْرِيُّ: رَمْلُ عَالِجٍ يُحِيطُ بِأَكْثَرِ أَرْضِ الْعَرَبِ]. أهـ

كم عددها هذه الرمال؟ "أو مثل أيام الدنيا، أو مثل قطر السماء" الأمطار النازلة "ذنوبا غسلها الله عنك؛ وأما رميك الجمار فإنه مذخور لك؛" عند الله عز وجل "وأما حلقك رأسَك فإن لك بكل شعرة تسقط حسنة، فإذا طفت بالبيت خرجت من ذنوبك كيوم ولدتك أمك». صحيح الجامع الصغير وزيادته (٥٩٣٠) ورمز له: [(حسن) ... طب عن ابن عمر. تخريج الترغيب (٢/ ١٢٩- ١٣٠): حب، البزار).

وعن الحسن البصري رضي الله عنه قال: (**كانوا يرجون في حُمَّى**) عندما تصيب الإنسان الحمى والمرض (**ليلةٍ كفارةً لما مضى من الذنوب**). رواه ابن أبي الدنيا أيضا ورواته ثقات، وحسنه في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ١٨٩، رقم: ٣٤٤١)

هذه صفات الصالحين، كفارةٌ لما مضى من الذنوب، محوٌ تامٌّ.

٤) ومن صفاتهم تقديم حب الرحمن على محبة غيره (أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما).

٤) وَهُمُ الَّذِينَ مَلا الإِلَهُ قُلُوبَهُمْ * بِوِدَادِهِ وَمَحَبَّةِ الرَّحْمَانِ**

والحب في الله ولله، والبغض في الله ما بين الناس يجلب الرجاء من الله عز وجل، رجاء الرحمة فقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم والذي رواه عنـــه عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، رضي الله تعالى عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ، وَلَا شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ"، **إذن من هم؟** هم السائرون إلى الله والدار الآخرة، ينظر إليهم الأنبياء والشهداء ولسان حالهم يقول: ما شاء الله! على ما وصلتم إليه عند الله من الرفعة والدرجات العالية، **"يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى»**، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! تُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ، قَالَ: «**هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ"**، يعني لم يجمع بينهم وطن، ولم يجمع بينهم قرابة، ولا بلد ولا عائلة، جمع بينهم التوحيد، روح الله، **"وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا"**، يعني ولا تجارة بينهم، **"فَوَاللَّهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ، وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ"**، هناك ينعدم الخوف؛ لأن الدنيا فيها خوف، السائرون إلى الله عز وجل خافوا في الدنيا، فامتنع عنهم الخوف في الآخرة، أمنوا فهم في أمن وأمان، قال: "وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ»، وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: **{أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}**. (يونس: ٦٢)، سنن أبي داود (٣٥٢٧).

وهم الذين مَلاَ الإلهُ، حذفَ الهمزةَ هنا للتخفيف، ملا الإله، أصلها: (**ملأ**)، قلوبهم بوداده ومحبة الرحمن، الله سبحانه وتعالى ملأ قلبوهم بشيئين:

بالوداد: الودُّ: نوع من المحبة، والمقصود محبةُ الله عز وجل، لذلك جعلنا لهذا البيت عنوانا: (ومن صفاتهم تقديم حبِّ الرحمن على محبةِ غيره)، وهذا في الحديث واضح: " .. **أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا**... ". البخاري (١٦).

وانظر إلى قوله: **مما سواهما**، فربما تحبُّ سواهما تحب غير الله، وتحبُّ غير الرسول صلى الله عليه وسلم، لكن هذه أعلى درجات المحبة، لأنك تحب الوالدين، تحب الزوجة، تحب الأولاد، تحب المال، **{زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ**

النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ}. (آل عمران: ١٤)، إذن هذه تحبُّ، لكن هناك محبةٌ أعلى.

لذلك سنطيل النفس في الحديث عن المحبة وأنواعها، ونبدأها بآيات من كتاب الله عز وجل، وهو قوله سبحانه وتعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا}**. (مريم: ٩٦)، أي محبة في قلوب الناس، الناس إذا رأوا هؤلاء الناس السائرين إلى الله؛ يحبونهم، الله سبحانه وتعالى يهيئ في قلوب الناس الودَّ والحبَّ لهؤلاء الناس.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ} بدأ بنفسه؛ لأنه يحبهم، وهم ماذا؟ **{وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ}** وهذه صفة أخرى، **{أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}**. (المائدة: ٥٤).

وقال سبحانه: **{لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ}**، فكما يوجد محبة، أيضا يوجد بغض، فعكس المحبة أن تبغض ما أبغضه الله عز وجل، **{يُوَادُّونَ}**، يحبون من قلوبهم، **{مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ}**، وإن لم توجد مودة للمحادين، لكن وجدت معاملة، يعني يهودي لا نوادُّه، ولكن قد نعامله في البيع والشراء، وقد عامل النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة اليهود، مات صلى الله عليه وسلم، ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعا من شعير، فالمعاملة تختلف عن المحبة والمودة القلبية، قد نشتري من الكفار، وقد نتعامل معهم وقد نزورهم ... الخ، لكن هذا لا يعني الوداد، ولا يعني الود، ولا يعني الحب، لذلك قال الله سبحانه وتعالى: **{وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ}**، الذين ساروا بهذه الصفة، هم السائرون إلى الله عز وجل، **{وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ}**. (المجادلة: ٢٢).

وعكسُ المحبةِ العداوةُ والكرهُ والبغض، قال سبحانه: **{لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا}**، فمن يكره المؤمنين؟ في الآية قال: **{الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا} من يحبُّ المؤمنين؟** من أقرب محبة للمؤمنين؟ النصارى، قال: **{الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى}** والسبب في ذلك؟ **{ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ}**. (المائدة: ٨٢)، إن كانت فيهم هذه الصفات فنعم، وإن تأثروا بغيرهم خرجوا من النصرانية.

حتى نعرف أن هناك محبة ومودة أخرى، وأعلاها لله، قال سبحانه: **{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً}** محبة، **{وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}**. (الروم: ٢١)، **{ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ}**، المحبة **{فِي الْقُرْبَى}** قرب النبي صلى الله عليه وسلم، وآل بيته، يجبُ علينا أن نحبَّهم، ولا نبغضَهم، وإذا أبغضناهم كنا ناصبة، نناصبهم العداء، فهذا لا يجوز، **{وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ}**. (الشورى: ٢٣).

والأرض تُحَبُّ، والوطنُ يحبُّ، فهذا فطرة في الإنسان، فطرة في الطير، فطرة في الحيوان، يحب عشه ووكرَه، يحبُّ مسقطَ رأسِه، لكن هذا لا يؤثر على المحبات الأخرى، فهو نوع من المحبة، فقد ثبت أَنَّ الصحابي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَدِيِّ بْنِ الْحَمْرَاءِ، قَالَ: (رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ، وَاقِفٌ بِالْحَزْوَرَةِ) =أحيانا يشددون الواو (الحزوَّرة)، وهو مكان قريب من مكة، والذي يكون عليه ربما يرى الكعبة، في ذاك الوقت، (يَقُولُ) عليه الصلاة والسلام: «**وَاللَّهِ إِنَّكِ، لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ لَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ، مَا خَرَجْتُ**». سنن ابن ماجه (٣١٠٨)، صحيح الجامع (٢٤١٨).

فهو يحبها، فحبُّ الوطنِ يعتبرُ من الإيمان، من الدين، ويجب على المسلم الدفاع عنه، وهذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم.

إنسان مفرط في وطنه أين يقيم دينَه بلا وطن، فكيف تكون المسألة؟

قال سبحانه يبين المحبة العظمى: **{قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}**. (سورة آل عمران: ٣١).

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: [**تنبيه**: يؤخذ من هذه الآية الكريمة أن علامةَ المحبةِ الصادقةِ للهِ ورسولِه صلى الله عليه وسلم هي اتباعه صلى الله عليه وسلم]، كمن يقول: إنه يحب الرسول صلى الله عليه وسلم، ويعصيه ويخالف سنته، ويعمل له مولدا!! **فهل هذا ينفع؟** فالمسألة تحتاج إلى اتباع، يدَّعِي حبَّ النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن لا يتمسك بشيء من سنته، ولا حتى في الصلاة ويقصر، ويحلف بالله أنه يحب النبي صلى الله عليه وسلم، وكل سنة يقيمُ للنبي مولدا! ويذبح له عجلا!!

هذا يكون ادعاءً، فإذا كان صادقا يكمل، ولا نشك في صدقه، لكن نقوله له أكمل، وإلا الظاهر لنا أنك لا تحبه، [فالذي يخالفه ويدعي أنه يحبه، فهو كاذب مفترٍ؛ إذ لو كان محباً له لأطاعه، ومن المعلوم عند العامة] أي عند كافة الناس؛ [أن المحبةَ تستجلبُ الطاعة، ومنه قول الشاعر:

لو كان حبُّك صادقاً لأطعتَه ... إن المحبَّ لمن يحبُّ مطيع]. =أضواء البيان (١/ ٢١٧)=.

ومن مراتب المحبة:

والمحبة لها مراتب ودرجات، ورد في مدارج السالكين لابن القيم رحمه الله؛ **أن مراتب المحبة، عشر**، وهي:

[أولها: العلاقة: وسميت علاقة لتعلق القلب بالمحبوب.

الثانية: الإرادة: وهي ميل القلب إلى محبوبه، وطلبه له.

الثالثة: الصبابة:] لقي من الحب صبا، وكأنه شيء ينصب، [وهي انصباب القلب إليه]، إلى محبوبه، [بحيث لا يملكه صاحبه]، فقلبه هارب، وهذا قد يكون من فتاة إلى شابٍّ أو بالعكس، [كانصباب الماء في الحدور]، في الشيء المنخفض [والصبابة؛ الميل اللازم، وانصباب القلب بكليته.

الرابعة: الغرام:] وهذه تعرفونها، وجيد أنهم جعلوا لهذا اسما، كالحبِّ الذي يحدث بين الشباب والشابَّات، وهو الحبُّ المحرم، وسموه غراما، والله تعالى يقول: {إن عذابها كان غراما}، [وهو الحب اللازم للقلب، الذي لا يفارقه]، مثل الغريم المداين، الذي له دين على صاحبه، فلا يفارقه؛ [بل يلازمه، كملازمة الغريم لغريمه، ومنه سمي عذاب النار غراما، للزومه لأهله، وعدمِ مفارقته لهم، قال تعالى: {إن عذابها كان غراما}.

الخامسة: الوداد:] من الود، [وهو صفو المحبة]، المحبة الصافية التي لا غش فيها، ليس فيها أهدافٌ أخرى، [وخالصها ولبها، والودود من أسماء الرب تعالى]، فهو الودود الذي يتودد لخلقه بنعمه وآياته، يتودد لهم ليعبدوه [وفيه قولان؛ أحدهما: أنه المودود؛] أي المحب، [قال البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه: الودود؛ الحبيب.

والمعنى الثاني: أنه الوادُّ لعباده، أي المحبُّ لهم، وقرنه باسمه الغفور؛] الودود الغفور؛ [إعلاما بأنه يغفر الذنب]، فالذي يحب ابنه يسامحه إذا أخطأ، يغفر له، والله سبحانه [يحب التائب منه ويودُّه، فحظُّ التائب؛ نيل المغفرة منه.

وعلى القول الأول، الودود فيه معنى يكون سرُّ الاقتران، أي اقتران الودود بالغفور؛ استدعاء مودة العباد له]، فهو يستدعي مودة العباد له، فهو مودود؛ لأنه إذا غفر لهم أحبوه، كالذي قتل تسعا وتسعين نفسا، ثم بعد ذلك استفتى عابدا جاهلا؟ فقال له: أنت لا مغفرة لك، فأكمل به المائة، فأنت إذا أوصدت باب الله عز وجل عن عباده، أبعدتهم عنه، والأصل أن ترغِّبَهم في الله، وتحبِّبَهم إلى الله عز وجل، قال: [ومحبتهم إياه، باسم الغفور.

السادسة: الشغف:] ويوجد مكان عندنا في غزة اسمه الشعف، والشعف هو المكان الفارغ من أي شيء، لكن الشغف، فلان مشغوف بفلان، شغفه المحبوب= [يقال: شغف بكذا فهو مشغوف به، وقد شغفه المحبوب، أي وصل حبه إلى شغاف قلبه]، وهي لفافة رقيقة حول القلب، شغاف، [كما قال النسوة عن امرأة العزيز: {قد شغفها حبا}، أي أحبته حتى وصل حبُّه شغافِ قلبها، لكن ما معنى الشغاف، قالوا: [**وفيه ثلاثة أقوال:**

أحدها: أنه الحب المستولي على القلب، بحيث يحجبه عن غيره]، أي أن هذا الشغاف قد غطى، فلا حبَّ آخر يدخل.

[**الثاني:** الحب الواصل إلى داخل القلب، قال صاحب هذا القول: المعنى أحبته؛ حتى دخل حبه شغاف قلبها، أي داخله.

الثالث: أنه الحب الواصل إلى غشاء القلب، والشغاف غشاء القلب إذا وصل الحب إليه باشر القلب]، يعني لا يوجد شيء بينه وبين القلب لأنه رقيق، [قال السدى: **الشغاف؛** جلدة رقيقة على القلب، يقول: دخله الحب حتى أصاب القلب، وقرأ بعض السلف: (شعفها) بالعين المهملة، **ومعناه:** ذهب الحبُّ بها كلَّ مذهب، وبلغ بها أعلى مراتبه، ومنه شعف الجبال لرؤوسها.

السابعة: العشق: وهو الحب المفرط]، وهذا لا يوصف به الله عز وجل، كأن تقول: (**أنا أعشق الله**)، كما يقولون: (رابعة العدوية؛ عاشقة الحب الإلهي)، هذا خطأ، فالعشق لا يكون إلا مشوبا بالشهوة، وهذه مستحيلة في حق الله سبحانه وتعالى، والعشق [الذي يخاف على صاحبه منه ... ولا يوصف به الرب تبارك وتعالى، ولا العبد في محبة ربه]، لا يقول: الله يعشق فلانا –حاشا وكلا–، ولا يقول: فلان يعشق الله –حاشا وكلا–، أما فلان يعشق فلانة؛ فهذا كثير، نسأل الله السلامة.

[**الثامنة: التَّتَيُّم**: وهو التعبُّد والتذلُّل، يقال: تيَّمه الحب: أي ذلَّله وعبَّده]، لذلك يسمون، [تيم الله]؛ وهي قبيلة، والمعنى [عبد الله، وبينه وبين اليتم الذي هو الانفراد؛ تلاق في الاشتقاق الأوسط، وتناسب في المعنى، فإن المتيم المنفرد بحبه وشجوه؛ كانفراد اليتيم بنفسه عن أبيه، وكل منهما مكسور ذليل]، العبد مكسور ذليل متيَّم، وكذلك اليتيم مكسور ذليل، [هذا كسره يُتْمٌ، وهذا كسره تَتَيُّمٌ]، عجيب ابن القيم رحمه الله في الربط بين العبارات والمعاني.

[**التاسعة: التعبُّد**: وهو فوق التتيم]، أعلى، التتيم أعلى درجة من درجات المحبة، فهنا التعبد أعلى [فإن العبد هو الذي قد ملك المحبوبُ رِقَّهُ]، صار عبدا لحبيبه [فلم يُبْقِ له شيء من نفسه البتة، بل كله عبد لمحبوبه، ظاهرا وباطنا، وهذا هو حقيقة العبودية، ومن كمَّل ذلك فقد كمَّل مرتبتها.

ولما كمَّل سيدُ ولدِ آدمَ هذه المرتبة]؛ وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، [وصفه الله بها] عبد [في أشرف مقاماته، مقام الإسراء، كقوله: **{سبحان الذي أسرى بعبده}**،] وهذا قرَّبَهُ إلى الله عز وجل.

[ومقامِ الدعوة، كقوله: **{وأنه لما قام عبد الله يدعوه}**.

و مقام التحدي، كقوله: **{وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا}**،] وكلها في أشرف المقامات وصفه بالعبودية.

[وبذلك استحق التقديم على الخلائق في الدنيا والآخرة]، صلى الله عليه وسلم.

[وكذلك يقول المسيح عليه الصلاة والسلام لهم] أي لأهل الموقف يوم القيامة، [إذا طلبوا منه الشفاعة بعد الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام: "**اذهبوا إلى محمد؛ عبدٌ غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**".

=قال ابن القيم= سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول:

فحصلت له تلك المرتبة بتكميل عبوديته الله تعالى، وكمال مغفرة الله له، وحقيقة العبودية الحب التام، مع الذل التام، والخضوع للمحبوب].

والأخيرة في مراتب المحبة وهي [**العاشرة: مرتبة الخلة**: التي انفرد بها الخليلان]؛ فهذه بين الله وبين عباده، انفرد بها الخليلان، [إبراهيم] أبو الأنبياء، [ومحمد] خاتم الأنبياء [صلى الله عليهما وسلم، كما صح عنه] صلى الله عليه وسلم [أنه قال: "**إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا**"، وقال: "**لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت**

أبا بكر خليلا، ولكن صاحبكم] أي الرسول صلى الله عليه وسلم **[خليل الرحمن"**، والحديثان في الصحيح، وهما يبطلان قول من قال: الخلة لإبراهيم، والمحبة لمحمد]، صلى الله عليهما وسلم، [فإبراهيم خليله، ومحمد حبيبه]، لكن الصحيح أن الخلة للاثنين، والمحبة للاثنين.

[والخلة هي المحبة، التي تخللت روحَ المحب وقلبَه]، وكأننا صبغنا هذا القلبَ بالمحبة، فتشربت هذه المساماتُ المحبةَ بأكملِها، فهذه أعلى درجات المحبة، وأعلى مراتبها، [حتى لم يبق فيه موضع لغير المحبوب، كما قيل] يأتون بأشعار جاهلية، لكنهم يستنبطون منها أحكاما، وحكما، ويأخذون منها الشاهد فيقولون:

[قد تخللت مسلك الروح مني * ولذا سمي الخليل خليلا]**

لكن فيما بين الناس، **هل يوجد خُلَّة؟** نعم! يوجد خلة، **"فلينظر أحدكم من يخالل"**، أي يصاحب أو يصادق، قد تكون لكنها لا تصل إلى الدرجات العلى.

[وهذا هو السر الذي لأجله -والله أعلم- أُمِرَ الخليل عليه السلام بذبح ولده]، توجد محبةٌ باقيةٌ للولد، اذبح الولد، فإذا قدَّم ذبحَ الولد، فالخلة تكون حينئذ قد تكاملت، فإذا لم يقدِّم؛ يبقى في القلب فراغ من الخلة، فلا بد من ذبح ولده الوحيد، [وثمرة فؤاده، وفلذة كبده، لأنه لما سأل الولد] لما طلب من الله الولد، [فأعطيه، تعلقت به شعبة من قلبه، والخلة منصب لا يقبل الشركة والقسمة، فغار الخليل سبحانه على خليله]، أن تكون محبةٌ لغيره، ألا وهو الخليل إبراهيم عليه السلام، غار عليه [أن يكون في قلبه موضع لغيره، فأمره بذبح الولد، ليخرج المزاحم من قلبه، فلما وطن نفسه على ذلك، وعزم عليه عزما جازما؛] انتهى الأمر، اذبح، سيذبح، [حصل مقصود الأمر]، إذن فلا داعي للذبح [فلم يبق في إزهاق نفس الولد مصلحة، فحال بينه وبينه، وفداه بالذبح العظيم، وقيل له: **{يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا}**، أي عملت عمل المصدق، **{إنا كذلك نجزي المحسنين}** نجزي من بادر إلى طاعتنا، فنقرَّ عينَه، كما أقررنا عينَك بامتثالِ أوامرنا، وإبقاء الولد وسلامته، **{إن هذا لهو البلاء المبين}** وهو اختبارُ المحبوبِ لمحبِّه، وامتحانُه إياه، ليؤثرَ مرضاتِه، فيتمُّ عليه نِعَمَه، فهو بلاء محنة] وابتلاء، [ومنحة عليه معا] هبة وعطية في نفس الوقت، **أين المحنة؟** مصيبة الذبح للولد وفقدانه، **وأين المنحة في هذا؟** علوُّ مكانةِ إبراهيم لدرجة الخلةِ الكاملة، وأما مسألة الكبش والذبح، فهذا فداء، وكأنه إكرام، وكأن الله عز وجل يريد إكرامه؛ لأنه أكل في ذلك اليوم من الكبش، فسبحانه الله.

خرج إبراهيم عليه السلام حزينا يرد ذبح ولده؛ تنفيذاً لأمر الله، لكن رجع فرحا مسرورا برضا ربه، ونجاة ولده، رجع بكبش مذبوح، وولدُه معه يساعده، وأمه هاجر تصنع لهم الطعام من ذلك الكبش، هذا الذي نظنه، ما رأيناه، ولم يثبت ذلك، لكن هذه المجريات والمناسبات تلقائيا لا تحتاج إلى نقل، لأننا لو قلنا عن شخص في ذلك الزمان أكل الكباب أو الفلافل، هذا ما يصدق، لأنه في ذلك الزمان الموجود الذبح العظيم، والله أعلم.

٥) ومن صفات السائرين إلى الله سبحانه الإكثار من ذكره سبحانه سرًّا وعلانية.

٥) وَهُمُ الَّذِينَ أَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِهِ * فِي السِّرِ وَالإِعْلَانِ وَالأَحْيَانِ**

فالذي نتحدث عنه هو ذكر الله سبحانه وتعالى، وهو لا يكلفك شيئا، قال سبحانه: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا* وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا}**. (الأحزاب: ٤١، ٤٢)، سبحان الله جاء بشيء عام؛ **{اذكروا الله}**، ثم ركز عليه بمفعول مطلق؛ **{ذكرا كثيرا}**، ثم بعد ذلك خص من الذكر التسبيح في الصباح والمساء، يا ليتنا نسبح: **"سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم"**، مائة قبل طلوع الشمس، ومائة قبل غروبها، نحافظ عليها إن شاء الله.

هذا ذكر الله سبحانه وتعالى، وهم الذين أكثروا من ذكره، طاعة لله عز وجل، **{اذكروا الله ذكرا كثيرا}**، في السر والإعلان، يعني بينهم وبين أنفسهم، أو يعلنوا هذا الذكر أمام الناس، والأحيان في شتى الأوقات، فهذه من صفات السائرين إلى الله عز وجل؛ الإكثار من ذكره سبحانه وتعالى سرا وعلانية، قال سبحانه: **{فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ}**. (البقرة: ١٥٢).

فنجد أن في الصلاة من أولها إلى آخرها ذكر، وبعدها ذكر، قال سبحانه: **{فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا}**. (النساء: ١٠٣)، **{فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ}** هذا يوم الجمعة **{فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}**. (الجمعة: ١٠).

وكرر هذه الآية كما في سورة النساء في سورة المائدة أيضا، فقال سبحانه وتعالى: **{الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ}** أي وهم سائرون أو واقفون، أو يعملون أعمالا أثناء القيام، يذكرون الله عز وجل، أحيانا وهم في حالة الجلوس مع بعضهم، أو يجلس الإنسان في عمل معين، وأحيانا حال التقلب في الفراش، **{وعلى**

جنوبهم}، وليس معناها أن يقوم ويقعد ويتمايل ويقول: (الله الله الله)، كما يفعلها بعض الناس، وهذا ما وقع من بعض الناس؛ من أنهم استدلوا بهذه الآية على فعلهم هذا بذكر الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم، فيريد أن يذكر الله قائما وقاعدا، فسبحان الله! **{وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}**. (آل عمران: ١٩١).

فالتفكر أيضا ذكر، والتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل والبسملة، وقراءة القرآن ذكر، وكل عبادة ذكر.

بعكس المنافقين، **{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى} ماذا يفعلون؟ {يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا}**. (النساء: ١٤٢)، **متى القليل هذا؟** أمام الناس، لكن لماذا لا يذكرون الله سرا!!! أما أمام الناس فيكثرون من الذكر، فهذا القليل الذي يذكرونه.

وفي الحج ذكر؛ لأنه يبدأ بماذا؟ يبدأ: **بـــ"لبيك اللهم لبيك"**، توحيد وذكر لله عز وجل، قال سبحانه: **{فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا }**. (البقرة: ٢٠٠).

والمؤمن السائر إلى الله تعالى هو غير معصوم، لأنه قد يعصي الله عز وجل إلا أنه وبعد المعصية يذكره سبحانه: **{وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ}**. (آل عمران: ١٣٥).

وفي الصيد ذكر؛ حتى لا يغفلَ الإنسان، لأنه إذا اتبع الصيد غفل، فهؤلاء الذين يسيرون إلى الله والدار الآخرة لو اضطرهم عملهم للصيد في البر أو البحر، قال سبحانه: **{فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ}**. (المائدة: ٤)، معه النسور والصقور والكلاب المدربة، فعندما يطلقها يذكر اسم الله عليه، حتى تكون الذبيحة مذكورا عليها اسم الله تعالى.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً "**. البخاري (٧٤٠٥).

٦) ومن صفاتهم أنهم يتقربون إليه بطاعته، وتركِ معصيته.

٦) يَتَقَرَّبُونَ إِلَى الْمَلِيكِ بِفِعْلِهِمْ * طَاعَاتِهِ وَالتَّرْكِ لِلْعِصْيَانِ**

ومن صفاتهم عنوان لهذا البيت: **أنهم يتقربون إليه سبحانه وتعالى بطاعته، ويتقربون إليه بترك معصيته،** القربى إلى الله والتقرب إليه، بفعل ما يحب وترك ما يبغض، بفعل الطاعة وترك المعصية.

يتقربون إلى المليك، فالمليك اسم من أسماء الله عز وجل، **أين هذا في كتاب الله؟ {في مقعد صدق عند مليك مقتدر}**، وهذه من صفات السائرين إلى المليك سبحانه، قال سبحانه: **{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}**. (التوبة: ٧١).

وقال سبحانه: **{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا}**. (الأحزاب: ٣٦).

وقال سبحانه: **{وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا}**. (الجن: ٢٣)، إذن توجد طاعة، وتوجد معصية، وهذا النصف الأول يتقربون بفعلهم طاعات الرحمن سبحانه، ويتقربون إليه بترك معاصيه، فصفاتهم؛ الطاعة لله عز وجل في كلا الأمرين، لا نتصور وجود طاعة بالفعل دون الترك.

فبمجرد خروجكم من بيوتكم حتى وصلتم هنا كانت المعاصي متيسرة، كالنظرة والغيبة والنميمة ونحو ذلك، فهذا الترك طاعة، يعني لو ورد خاطرٌ من الخواطر عليك، أن تنظر فتركت؛ أطعت الله عز وجل، وأخذت الأجر، لو كان هناك مجال لأن يُفتحَ لغيبة أو نميمة أو هتكِ أعراض، فأغلقته أنت، أسكتهم أو قمت من المجلس، هذا نوع من الطاعة، طاعة تركية، غير الطاعة الفعلية، الطاعة الفعلية كما سنعلم فعل الفراض، وفوقها النوافل، هذه واضحة.

لذلك؛ يتقربون إلى المليك بفعلهم طاعاته، والطاعة تفعل قدر الاستطاعة، فأنت تطيع بقدر ما تستطيع **{لا يكلف الله نفسا إلا وسعها}**، فهذه الطاعات جعلها –الله سبحانه– على قدر الطاقة والاستطاعة، لكن الترك والمعاصي على الكل، يعني لم تأتي آية أو نص أو حديث، (فاجتنبوا ما نهيتم عنه قدر طاقتكم واستطاعتكم)، لا يوجد بهذا نص، لكن في الطاعة افعل ما تستطيع، **"صل قائما فإن تستطع فعلى جنب، ..."**، أما في شرب الخمر، قال: **{فاجتنبوه}**،

ما قال: (فاجتنبوه إن استطعتم)، والحديث: **"ما أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم"**، فهنا أمر وفعل لابد لك أن تفعله، **"وما نهيتكم عنه"**، هنا ترك، ماذا قال: **"فانتهوا"**، وفي القرآن؛ **{فاجتنبوه}**، فهذه المحرمات اجتناب، لا يوجد مسألةُ؛ والله لا أستطيع أن أترك الدخان مثلا، وهذا يحدث كثيرا، وبعض الناس عندهم إدمان على الترامال، عافانا الله وإياكم وشبابَ المسلمين، مع أن هذا الترامال كما لا يذم، فهذا بوصف الطبيب هو للعلاج، لكن ضعاف الإيمان والعقول الذين عندنا يأخذونه لأمور أخرى، بدون وصفات وهذا الذي يأتي للإنسان بالبلاء، فعلى الإنسان أن يتخلص منه، وينصح غيره، بالابتعاد عنه، ولا يقع فيه، وليس فيه عذر للبقاء فيه، يحبس نفسه في بيته، ولا يخرج مطلقا، حتى يعتاد على العهد الجديد من الأطعمة ونحو ذلك.

وكذلك الأمور الأخرى التي يقول فيها: أنا لا أستطيع، لا هذه ما فيها استطاعة، لكن بعض الناس قد يصل به إلى الجنون، وفقد العقل، هذا يحتاج إلى مصحات خاصة بعلاج الإدمان وما شابهه ... الخ، إذن الفعل فيه استطاعة، لكن الترك مطلقا، والفعل يكون على قدر الطاقة والاستطاعة.

٧) ومن صفاتهم أنهم يداومون على فعل الفرائض، ولا يقصرون في النوافل، ومع ذلك يتهمون أنفسهم بالتقصير.

٧) فِعْلُ الْفَرَائِضِ وَالنَّوَافِلِ دَأْبُهُمْ * مَعَ رُؤْيَةِ التَّقْصِيرِ وَالنُّقْصَانِ**

فعل الفرائض؛ ما افترضه الله سبحانه وتعالى علينا في كتابه، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، والنوافل التي هي غير الفرائض، وبينها لنا النبي صلى الله عليه وسلم، حتى تسدَّ الخللَ الذي يقع منا في الفرائض، فهذا دأبهم وهذه عادتهم، فأصبح عادة عندهم، مع رؤية التقصير والنقصان، قال سبحانه في أوائل سورة البقرة: بسم الله الرحمن الرحيم **{الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ}** فالمتقين هنا هي من صفات السائرين إلى الله عز وجل والدار الآخرة، ومن صفاتهم **{الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}**. (البقرة: ١- ٥)، الفلاح لهم، والهداية والهدى لهم، **{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}**. (الأنفال: ٢)، هذه من صفات السائرين إلى الله، ويعلمون ويخافون الله عز وجل مع وجود الأعمال الصالحة يتهمون أنفسهم بالتقصير والنقصان، فلذلك توجل قلوبهم وتخاف عند تلاوة الآيات، فلماذا تخاف وهم يعملون الصالحات؟ هذه صفاتهم، كذلك؛ **{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا**

رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ}، فمن هم المخبتون؟ **{الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}**. (الحج: ٣٤- ٣٥).

إذن فهناك خوف ووجل من الله سبحانه وتعالى: **{وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ* أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ}**. (المؤمنون: ٦٠- ٦١).

أين الدليل والنص في هذه المسألة على أن هذا الخوف والوجل من الطائعين وليس من العصاة؟ الذين يطيعون الله هم الذين يخافون الله عز وجل؟ والدليل؛ أَنَّ عَائِشَةَ رضي الله تعالى عنها؛ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: **{وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ}**. (المؤمنون: ٦٠)، =يعطي الصدقات، ويقدم الطاعات، ويفعل الخيرات ويخاف=، قَالَتْ عَائِشَةُ: أَهُمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: **"لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ!** وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا تُقْبَلَ مِنْهُمْ؛ **{أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ}**. [المؤمنون: ٦١] سنن الترمذي (٣١٧٥).

الجلسة الثانية

تحمُّلُ المشَاقِّ في سَبِيْلِ اللهِ

٨) من صفاتهم الصبر على المكاره.

٨) صَبَّرُوا النُّفُوسَ عَلَى الْمَكَارِهِ كُلِّهَا * شَوْقاً إِلَى مَا فِيهِ مِنْ إِحْسَانِ**

لاحظ؛ أنه في الأبيات السابقة تدخُّلٌ في العبادة، وخاصّةٌ بعمل الشخص، لكن الآن دخل على أمر آخر، دخل على الإنسان، كالمصائب التي تقع عليه، أو نحو ذلك، مما يلاقيه من مشاقّ، فماذا يفعل السائر إلى الله والدار الآخرة؟ صبروا النفوس على المكاره كلها.

فإذا أصيب الإنسان بمصيبة أوَّلُ مراتب هذا السائر إلى الله والدار الآخرة مرتبة الصبر، ستأتي مراتب أخرى أعلى من الصبر، لكن نبدأ الآن بالصبر، يعني وقت المصيبة لا يتأفف ولا يتضجَّر، ولا يتسخط، ممتثلا أمر الله جل في علاه: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}**. (البقرة: ١٥٣).

وقال سبحانه من باب الابتلاء والمحن: **{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ}** لاحظ كلمة بشيء، أي شيء بسيط، ليس بكل شيء، أو أشياء عظيمة، **{مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}**، والنتيجة والجواب؛ **{أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}**. (البقرة: ١٥٥- ١٥٧).

وقال سبحانه: **{الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}** فالسائرون إلى الله والدار الآخرة يقولون هذا الكلام، لأن من صفاتهم؛ **{الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ}**. (آل عمران: ١٦- ١٧)، وهنا، الصبر موجود.

وهذا إبراهيم عليه السلام قال: **{قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى}**، فماذا قال إسماعيل عليه السلام؟ **{قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ}** ما قال ستجدني صابرا، لأنه مسألةَ الصبرِ هبةٌ من الله عز وجل، ليست من نفس الإنسان ولكنه قال: **{سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ}**. (الصافات: ١٠٢).

وموسى عليه السلام ماذا قال للخضر؟ **{قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا}**. (الكهف: ٦٩).

سألني سائل قبل يوم أو يومين، فقال: **هل يجوز أن نقول: اللهم اجعلنا من الصابرين؟**

فقلت: هذه والله لا أعلمها عن السلف فيما أعلمه في ذلك الوقت، أما الإنسان يقول: إن شاء الله نكون من الصابرين، لكن تدعو على نفسك بالصبر؛ كيف؟ تدعو على نفسك أن تأتيك المصائب، ثم تصبر، هذا خطأ، أما إذا وقعت في مصيبة؛ تسأل الله أن يلهمك الصبر، وتسأل من غيرك أن يدعو لك بالصبر ونحو ذلك، والثواب، لذلك إسماعيل عليه السلام قال: **ستجدني إن شاء الله من الصابرين،** وموسى عليه السلام **ستجدني إن شاء الله صابرا،** فأرجعوا الأمر إلى الله عز وجل، وإلى مشيئة الله عز وجل.

٩) ومن صفاتهم الرضى بأقدار الله.

٩) نَزَلُوا بِمَنْزِلَةِ الرِّضَى فَهُمْ بِهَا * قَدْ أَصْبَحُوا فِي جُنَّةٍ وَأَمَانِ**

المرتبة الثانية، وهي أعلى من الصبر، وهي من صفاتهم؛ **الرضا بأقدار المؤلمة**، إنسان صبر وما رضي، وآخر صبر ورضي، فالرضا مرتبة أعلى، فمن رضي فالأولى أن يكون قد صبر، أما بعض الناس قد يصبر رغم أنفه، يعني هكذا وقع عليه ماذا يفعل؟ إنسان قطعت يده، وهو يشعر بالآلام هذا صبر، لكن لو رضي من قلبه، وتوكَّل على الله عز وجل، يختلف عن آخر تسخط، وسبَّ وشتم، أو خرج من الدائرة التي هو فيها -كما يقولون-

نزلوا بمنزلة الرضا فهم بها، قد أصبحوا في جُنَّةٍ وأمان، ومعنى جُنة: وقايةٌ وحمايةٌ وأمان، والصومُ جُنَّة؛ أي يقي الإنسان، قال سبحانه: **{رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}**. (المائدة: ١١٩).

فهذه من صفات السائرين إلى الله؛ الرضا، هم يرضون عن الله عز وجل، ويرضون بما جاءهم من الله سبحانه وتعالى، وقال سبحانه: **{وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ}**. (التوبة: ١٠٠)، فالرضا مهمٌّ جدًّا للمؤمن، حتى ينالَ الإنسانُ صحةَ السير إلى الله والدار الآخرة.

إنهم كانوا يدعون الله عز وجل لأنفسهم؛ بل لأبنائهم، أن يكونوا في حالة رضا، فقال سبحانه: **{يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا}**. (مريم: ٦)، رضيا مرضيا، الله يرضى عنه، وهو يرضى عن الله عز وجل.

وقال سبحانه: **{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا* وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا}**. (مريم: ٥٤- ٥٥).

{فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى}. (طه: ١٣٠)، والنبي صلى الله عليه وسلم يرضى عن الله سبحانه وتعالى، ويرضى عن نفسه أنه يعبد الله سبحانه وتعالى.

وقال سبحانه: **{لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ}** تكررت في أكثر من آية، وأكثر من سورة في القرآن الكريم، **{أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}**. (المجادلة: ٢٢).

وفي سورة الفجر: **{يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ** (٢٧) **ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً** (٢٨) **فَادْخُلِي فِي عِبَادِي** (٢٩) **وَادْخُلِي جَنَّتِي}**. (الفجر: ٢٧- ٣٠).

١٠) ومن صفاتهم الشكر على نعم الله.

١٠) شَكَرُوا الْذِي أَوْلَى الْخَلاَئِقَ فَضْلَهُ * بِالْقَلْبِ وَالأَقْوَالِ وَالأَرْكَانِ**

عندنا مرتبة الصبر، وأعلى منها مرتبةُ الرضا، وأعلى منهما مرتبة الشكر لله سبحانه وتعالى، فالرضا مندرج في الشكر، فلو أنّ إنسانًا شكر لكان راضيا، إنسانٌ رضي فيكون صابرا، فهذه متلازمة مع بعضها، فيستحيل وجود الشكر بدون الرضا، فقد أمر الله به، ونهى عن ضده الكفر، وأثنى على أهل الشكر، ووصف به خواصَّ خلقِه، وجعله غايةَ أمره ونهيِه ووعدَ أهلَه بأحسنِ جزائه، وهذا ما قاله ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين.

إذن شكروا الإلهَ الذي أولى الخلائق فضله، **فما معنى أَوْلَى؟** وهبَ وأعطى ومنح، ليس هنا تفضيل، لا، لذلك جاءت أولى الخلائقَ بالفتح، مفعول به، ماذا أولاهم؟ فضلَه.

لماذا؟ لأنهم شكروه بالقلوب والأقوال والأركان، شكرٌ من الداخل، بتوحيدٍ وإخلاصٍ وصلاحِ نية.

وشكرٌ باللسان بقولنا: الحمد لله، والثناء لله، والشكر لله، وكل ذكرٍ لله شكرٌ لله.

والأركان والجوارح بالصيام والحج والصدقة، بالصلاة وسائر العبادات الفعلية، إذن من صفات السائرين إلى الله والدار الآخرة الشكر على نعم الله، قال سبحانه:

{فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ} هنا أمر، **{وَاشْكُرُوا لِي}**، وهنا نهي **{وَلَا تَكْفُرُونِ}**. (البقرة: ١٥٢)، والكفر هنا معناه كفر النعمة، يكفر الإنسان نعمة الله عز وجل، وكفر النعمة أنواعه كثيرة، فلو أنّ إنسانًا ما حمد الله عز وجل على لقمة التقمها، أو شربةٍ شربها، هذا نوع من كفر النعمة، لو جاء بالطعام الزائد الطاهر ثم ألقاه على المزابل والنجاسات كُفرٌ للنعمة، وهكذا إنكار نِعَمِ الله عز وجل، وعدمُ أداءِ حقوقها من زكوات وصدقات ونحو ذلك.

تذكرون قصة سبأ، **{لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال}**، يقول ابن كثير رحمه الله في مبالغة النعم على هؤلاء الناس: كانت المرأة تمر بالزنديل (القفة) على رأسها ما تقتطف حبة واحدة، تمر من هنا وتخرج من

هناك ويمتلئ الزنديل من كثرة الثمار، لا تريد أن تقتطف شيئا، فقط من المرور، فإذا انتهت امتلئ بالثمار هذا فقط بما مرت من تحت هذه الثمار والأشجار، تتساقط عليها، **لكنهم كفروا بنعمة الله**، وقالوا: **{ربنا باعد بين أسفارنا}**، هذا معنى كلام ابن كثير في تفسيره.

وأذكر حالنا هنا في فلسطين ما رضوا ما هم فيه من العيش الرغيد، منذ زمن كان الواحد منهم يأخذ مائة دولار في اليوم الواحد! يريدون شيئا آخر، وجاء الشيء الآخر، وأيضا ما رضوا، فجاءهم الآخر، وما رضوا! ولا ندري الآن ماذا يأتينا؟ نسأل الله السلامة.

فلذلك؛ احمدوا الله عز وجل، واشكروه على نعمه يزدكم، يقولها الخطيب لكم دائما يوم الجمعة، واشكروه على نعمه يزدكم.

ابحث أيها الإنسان! فلابد أن يكون الله قد أنعم عليك بنعم كثيرة، أنت في غفلة عنها، لأنك تبحث عن غيرها، **ففي الدنيا**؛ انظر إلى من هو دونك، فالأولى أن لا تزدري نعمة الله عليك، وفي الدين انظر إلى من هو فوقك، حتى تقتدي به، وتعرفَ ما عندك من تقصير.

قال سبحانه: **{وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ}** وهذا إعلان عام، وتصريح، وإيذان وإعلام إذا شكرتم؛ **{لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ}**. (إبراهيم: ٧).

فيا ربَّنا ارفع عنا العذاب؛ لأن هذا الذي نراه الآن نوع من العذاب، الشاكر مع غير الشاكر، والصابر مع غير الصابر، وكما يقول العوام: البلاء عام، والرحمة تخص.

قال سبحانه: **{إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}**. (الزمر: ٧).

هذا هو الإنسان **{إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا}**. (الإنسان: ٣)، **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}**. (البقرة: ١٧٢).

والشكر يكون بالقول، ويكون بالفعل والعمل، كما قال الله عز وجل لآل داود: **{اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ}**. (سبأ: ١٣).

١١) ومن صفاتهم التوكل على الله.

١١) صَحِبُوا التَّوَكُّلَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ *** مَعِ بَذْلِ جُهْدٍ فِي رِضَى الرَّحْمَانِ

صحبوا التوكل، لاحظ المصاحبة تكون بين اثنين، لكن هنا بين إنسان وبين شيء معنوي؛ هو التوكل، كأنه يصاحبه في سيرهم، وفي طريقهم إلى الله سبحانه وتعالى والدار الآخرة، صحبوا التوكل في جميع أمورهم، مع بذل جهد أي طاقةٍ يبذلها الإنسان في رضا الرحمن، فهنا من صفاتهم التوكل على الله سبحانه وتعالى، وأمر بذلك الله سبحانه وتعالى، فقال: **{وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}**. (آل عمران: ١٢٢)، فالمؤمن مأمور بالتوكل على الله.

قال سبحانه: **{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}**. (آل عمران: ١٥٩).

فالعزم على الأمور المعينة التي يريدها الإنسان ليقوم بها، سواء أمور دنيوية، تحتاج إلى مشاورة من وليِّ الأمر للمستشارين الذي عنده، أو أمور جهادية في سبيل الله سبحانه وتعالى كما سبب هذه الآية، أو أي أمر من الأمور التي تعود على الناس والأمة بالخير والنفع، تحتاج إلى رفقٍ ولين، ولو كنت فظا غليظ القلب، فبما رحمة من الله لنت لهم، ولأجل هذا أنت عندك فكرة معينة، هذه الفكرة ربما تتغيَّر إذا شاورت أهل الشورى، فوجدت عندهم أفضل مما عندك، لكن إذا ما وجدت المناسب، وعزمت على ما عندك فتوكل على الله، فإن وجدت ما عندهم هو المناسب، فخذ ما عندهم، واترك ما عندك، وتوكل على الله، فالعزم لأي أمرٍ لولي الأمرِ هو الذي يمضي، صحبوا التوكل في جميع أمورهم، لذلك قال الله سبحانه وتعالى: **{إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ* قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا}** نحن المسلمين، نحن السائرين إلى الله عز وجل والدار الآخرة؛ **{إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا}** هذا هو التوكل **{وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}**. (التوبة: ٥٠- ٥١).

وقال سبحانه: **{لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ* فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ}**. (التوبة: ١٢٨- ١٢٩).

إذن فالتوكل على الله سبحانه وتعالى في كل الأمور، كذلك قوله سبحانه وتعالى: **{قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ}** للأمم، فما أرسل الله سبحانه وتعالى من نبيين ومرسلين يقولون لأممهم: **{إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ}** ببرهان ودليل؛ **{إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}**، ثم يقول الرسل والأنبياء: **{وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ}** ما الذي يمنعنا من التوكل **{عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ}**. (إبراهيم: ١١- ١٢).

وقال سبحانه: **{وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا}**. (الطلاق: ٢- ٣).

ودرجة المتوكلين على الله معروفة يوم القيامة عندما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "...قِيلَ =لي=: انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ، فَإِذَا سَوَادٌ يَمْلَأُ الأُفُقَ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا فِي آفَاقِ السَّمَاءِ، فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلَأَ الأُفُقَ، قِيلَ: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَيَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ هَؤُلاَءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ". ثُمَّ دَخَلَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ، فَأَفَاضَ القَوْمُ، وَقَالُوا: (**نَحْنُ الَّذِينَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاتَّبَعْنَا رَسُولَهُ، فَنَحْنُ هُمْ، أَوْ أَوْلاَدُنَا الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلاَمِ، فَإِنَّا وُلِدْنَا فِي الجَاهِلِيَّةِ**)، فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجَ، فَقَالَ: «**هُمُ الَّذِينَ لاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ، وَلاَ يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**» فَقَالَ عُكَاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ: (أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟) قَالَ: «**نَعَمْ!**» فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: (أَمِنْهُمْ أَنَا؟) قَالَ: «**سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ**». البخاري (٥٧٠٥).

"**سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب**"، وفي رواية: "**بغير حساب ولا عذاب**"؛ من أمة النبي صلى الله عليه وسلم، .. وعلى ربهم يتوكلون، لا على غيره سبحانه.

"**لا يسترقون**" أي لا يطلبون الرقية من غيرهم، وهذا فيه توكل على الله عز وجل، يصاب بمرض فيصبر فيَرقي نفسه؟ نعم! فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يرقي نفسه، لم يثبت أنه طلب الرقية من أحد، لكن لو شعر بأن أحدَ أصحابه يحتاج للرقية يقرأ عليه.

والنبي صلى الله عليه وسلم قُرِئَ عليه في مرض موته، دون طلب من أحد، كانت عائشة رضي الله عنها تأخذ يده الشريفة تقرأ فيها وتنفث وتمسح جسده، سبحان الله!

كذلك جبريل وميكائيل قرءوا عليه المعوذات، وفكوا عنه السحر، لكن هو هل طلب هذا؟ لا! إذن لا يسترقون، الألف والسين والتاء في الفعل والمصدر للطلب.

إذن ما روي: (**لا يرقون**)، فروايةٌ قال عنها الألباني رحمه الله: شاذة، أي مخالفة للروايات الصحيحة، لا يرقون غيرهم؟ لا، أما لا يسترقون لا يطلبون، ولعله لا يطلبون حتى الرقية المشروعة، وليست الرقية المبتدعة الشركية.

حتى الرقية المشروعة لا يطلبونها توكلا على الله عز وجل، فلو طلب الرقية الشرعية جائز، لكنه لا يكون من السبعون ألفا، لا يسترقون.

ولا يكتوون، لا يستخدمون الكي بالنار، مسمار احمَرَّ من شدة النار، ثم يكوى رأسه من الدمامل، والقراريح التي تخرج في اليد، فجائز استخدامه، لكن من اكتوى لا يكون من السبعين ألفا، لأنه ترك التوكل على الله سبحانه وتعالى.

أما الثالثة؛ لا يتطيرون فهذه ما فيها أمر جائز وتركها أولى، هذه لا تجوز أصلا، والتطيُّر ينافي التوكلَ على الله عز وجل، فالتطير معناه التشاؤم، يتشاءم من شخص معين، من صورة معينة، من صوت معين، من طائر أو حيوان، من يوم معين، أو ساعة معينة، هذا التشاؤم نحن منهيون عنه، فالسائرون إلى الله والدار الآخرة على ربهم في الأمور السابقة كلِّها وغيرها على ربهم يتوكلون.

١٢) إنهم يعبدون الله كأنهم يرونه، فإن لم يروه فإنه يراهم.

١٢) عَبَدُوا الإِلَهَ عَلَى اعْتِقَادِ حُضُورِهِ * فَتَبَوَّءوا فِي مَنْزِلِ الإِحْسَانِ**

(**عبدوا الإله على اعتقاد**)، فليست العبادة قشريَّةٌ ظاهريَّةٌ؛ بل داخليَّةٌ قلبيَّةٌ، اعتقادٌ وكأنه مأخوذ من العَقد، كعُقدة الحبل التي لا تنفك أبدا.

(اعتقاد حضوره)، "**اعبد الله كأنك تراه**"، كأنه حاضر، فتبوءوا في هذه العقيدة منازلَ الإحسان، وصَلُوا إلى الإحسان، فمن صفاتهم أنهم يعبدون الله كأنهم يرونه، فإن لم يكونوا يرونه فإنه يراهم سبحانه، قال سبحانه: {**ذَلِكُمُ**

اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ}. (الأنعام: ١٠٢)، فعبادته وحده ونحن لا نراه، هذا من الإيمان بالغيب الذي هو أعلى بكثير من الإيمان بالمحسوسات.

فلو أنَّ إنساناً مؤمنٌ بشيء معينٍ وهو لم يره، فهذا إيمانه يختلف عن إيمانه لو رآه، فهذا الأعمى الذي لا يرى، وصفنا له القمر، لم يلمسْ منه شيئا، ولم يحس منه شيئا، القمر لم نلمس منه إلا النظر إليه، لكن الشمس تختلف، نخرج الأعمى في الشمس، **ونقول:** هذه الحرارة من آثارها. **لكن القمر بماذا تصفه له؟** هو ما يعرف عن القمر شيئا، فلذلك يتوهم في نفسه شيئًا عظيمًا جدًّا، **تقول:** هو في السماء يشبه الكرة، يضيء في ليالي معينة، كبير لكنه يظهر ويغيب، ماذا تشرح له؟ فيبقى في مخيلته أشياء أعظم من الحقيقة التي أنت تراها.

الله سبحانه وتعالى لم يره أحدٌ في الحياة الدنيا، ورؤيةُ اللهِ مستقرةٌ في الآخرة لعباده المؤمنين، فإذا رأوا الله عز وجل، يضعُفُ ويقلُّ أمامَهم كلُّ نعيمٍ من نعيم الجنة، نسألُ الله عز وجلَّ لذَّةَ النظرِ إلى وجهِهِ الكريم.

فهذا الربُّ المعبودُ سبحانه! لو نظرت إلى أعظم المخلوقات في الأرض هو سبحانه أعظم!

بل الآن بعض المخلوقات لا يستطيع الإنسان النظر إليها، أو الجلوس فيها إلى وقت معين؛ كالشمس مثلا، أعلى مخلوقٍ نراه بوضوح الآن الشمس، ونراها وهي تبعث بأشعتها إلينا، لكن دقِّقْ إليها النظر؛ لا تستطيع، الله سبحانه وتعالى حجابه النور، بينه وبين خلقه سبعون ألف حجاب، لو كشف واحدا منها لانكشفت سبحات وجهه ما انتهى إليه من بصر خلقه، وهذا واحد من سبعين ألفا، فكيف بغيره، عَن أبي أُمَامَة قَالَ: إِنَّ حَبْرًا مِنَ الْيَهُودِ سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**أَيُّ الْبِقَاعِ خَيْرٌ؟**) فَسَكَتَ عَنْهُ، وَقَالَ: «**أَسْكُتُ حَتَّى يَجِيءَ جِبْرِيلُ**»، فَسَكَتَ وَجَاءَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَسَأَلَ فَقَالَ: (مَا المسؤول عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَلَكِنْ أَسْأَلُ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى). ثُمَّ قَالَ جِبْرِيلُ: (يَا مُحَمَّدُ! إِنِّي دَنَوْتُ مِنَ اللَّهِ دُنُوًّا مَا دَنَوْتُ مِنْهُ قطّ). قَالَ: "**وَكَيف كَانَ يا جبريل؟**" قَالَ: (كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ حِجَابٍ مِنْ نُورٍ). فَقَالَ: "**شَرُّ الْبِقَاعِ أَسْوَاقُهَا، وَخَيْرُ الْبِقَاعِ مساجدها**". حسنه في مشكاة المصابيح (١/ ٢٣٠، ح ٧٤١).

وعَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: "**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ،**

حِجَابُهُ النُّورُ -وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: النَّارُ- **لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ"**. مسلم (١٧٩).

لكن يوم القيامة يعطي اللهُ سبحانه وتعالى المؤمنين قوَّةً في الإبصار، وقوةً في النظر، وقوةً في البصر، فيرون الله على منازلهم، منهم من يراه مرةً كلّ أسبوع، مرةً كل يوم دائما، هذا الأمر إلى الله عز وجل، ينتقي ويختار ما يشاء مما يشاء لمن يشاء، ويتحفهم برؤيته، يكشف لهم الحجاب يوم القيامة.

قال سبحانه: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}**. (الحج: ٧٧)، فأفلحوا في الآخرة بإيمانهم، وركوعهم وسجودهم، وعبادتهم ربهم.

وقال سبحانه: **{وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ}** وهو كلام الله سبحانه وتعالى **{فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ* وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ}** سرا وعلانية **{بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ}**. (الأعراف: ٢٠٤- ٢٠٥).

وقال سبحانه: **{وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى}**. (طه: ٧). إنه الإحسان.

وقال سبحانه: **{إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ}**. (الأنبياء: ١١٠)، يعني هو في علوِّه سبحانه يعلم ما يجري في الأرض السابعة، لا يخفى عليه شيء، ولا يحجبه حجابٌ مهما كثُف وغلُظ، لا يخفى عليه شيء، فلذلك عبد الله المؤمن يعبد الله كأنه يراه، والنفس أحيانا تقول: أنا لا أراه، إذا لم تره، فالله سبحانه يراك، وهذه حقيقة لا تحتاج إلى إثباتات، فالله سبحانه يرانا إن لم نكن نراه سبحانه وتعالى.

١٣) ومن صفاتهم أنهم يدْعُون خلق الله إلى الله.

١٣) نَصَحُوا الْخَلِيقَةَ فِي رِضَى مَحْبُوبِهِمْ * بِالْعِلْمِ وَالإِرْشَادِ وَالإِحْسَانِ**

(**نصحوا الخليقة**)؛ وهم الخلق والناس والبشر، (**في رضى محبوبهم**): في رضى الله عز وجل، نصحوهم بماذا؟ بالعلم والإرشاد والإحسان، هذه من صفاتهم أنهم يدعون خلق الله إلى الله، يدعون إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، قال سبحانه: **{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}**. (النحل: ١٢٥).

إذن الدعوة إلى الله عز وجل بالهيئات والسمات، بالكلام، بالمعاملة الحسنة، بكسوة العاري، بإغاثة الملهوف، بأداء الزكاة، بتقديم النصح للآخرين، بدعوتهم إلى دين الله عز وجل، بإرشادهم، وكل هذا بالرفق واللين، ليس بالعنف وبالشدة وبالمقاتلة، وكأنك أنت ولي الأمر معك الأمر والنهي، وتريد أن الناس كلهم يسمعون ويطيعون، ولو لم يسمعوا ويطيعوا ربما أخرجتهم من الدين، أو أخرجتهم من الإسلام والسنة، وحكمت عليهم بحكم فيه تجنٍّ.

لا! أنت طبيب وأمامك مريض، فيا طبيب لا تقتل المريض، أيها الداعي! أنت طبيب، فلا تقتل المريض هذا المدعوّ، لأن المريض مريض، فما دمت تعرف نفسك أنك على حق، أنك على صواب، وأن معك الهداية، وما معك ليس مع غيرك، فلابد أن تعرض عليه عرضا وتحسن العرض.

وإذا لم تكن طبيبا، فأنت تاجر، وعندك بضاعة، هل تجبر الناس على شراءها، أم تحسِّنها وتزيِّنها؟ لابد من التحسين والتزيين، فهذه الدعوة التي معك، هي أغلى بكثير من البضاعة.

هذا إن كنت حريصا على الكتاب والسنة، ومنهج سلف الأمة، تحب الله ورسوله، تحب الصحابة والتابعين، وتحب أن تكون من السائرين إلى الله والدار الآخرة على الطريق، فلا تضيع بضاعتك فيما لا ينفعك، لا تضعْها في غير موضعها، وتجبر الناس عليها عنوة، لأن بضاعتك حسنة، لكن أنت السبب في عدم ترويجها، أو تقبيحها في قلوب الناس وأمامهم.

فعليك يا عبد الله! أن تحسن عرض ما عندك؛ لأنك تعرض دين الله، وشرع الله، وهدي النبي صلى الله عليه وسلم، أنت الذي تعرضه، فاعرضه حتى يتقبله الذي هو أمامك؛ لا أن ترغم الناس، وتعرض عليهم ما عندك عنوة، وعليك أن تكون حكيما صبورا.

كن مقتديا برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال الله في حقه: **{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ}**. (آل عمران: ١٥٩).

يأتيه الأعرابي ويغلظ له القول، فيقابله بابتسامة وكرامة، صلى الله عليه وسلم، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ جَبْذَةً، حَتَّى رَأَيْتُ

صَفْحَ -أَوْ صَفْحَةَ- عُنُقِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ، فَقَالَ: (**يَا مُحَمَّدُ! أَعْطِنِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ**)، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ، فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ. مسند أحمد ط الرسالة (٢٠/ ٢١، ح ١٢٥٤٨).

وقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي المَسْجِدِ، فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ**». البخاري (٢٢٠). و لم يزد على ذلك.

وآخر يقول -والنبي صلى الله عليه وسلم في صلاته-: (**اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا، وَلاَ تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا**). فَلَمَّا سَلَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِلْأَعْرَابِيِّ: «**لَقَدْ حَجَّرْتَ وَاسِعًا**»، يُرِيدُ رَحْمَةَ اللَّهِ. البخاري (٦٠١٠).

ويتقبَّل هؤلاء الناس كلَّهم، فسبحان الله، ولا يزيد أن يقول: **"لقد حجَّرت واسعا"**، وربما لا تجد مثل هذه الأمور اليوم، وكما يقول الشيخ ابن باز رحمه الله: الناس اليوم -من عهده رحمه الله- أحوج إلى الرفق واللين من الأزمنة الأخرى) أو كما قال، ما تحتاج إلى استخدام العنف أبدا، رفق ولين حتى مع الزوجة، والأولاد، فالأمور تحتاج إلى رفق ولين حتى يحبَّك ابنُك، فيطيعك ويسمع منك، فإذا لم يحبك صعب جدا أن يسمع منك.

قال سبحانه: **{قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}**. (يوسف: ١٠٨).

وقال أيضا: **{قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ}**. (الرعد: ٣٦).

١٤) ومن صفاتهم أنهم مع الناس بأبدانهم وهممهم في الأعالي.

١٤) صَحِبُوا الْخَلاَئِقَ بِالْجُسُومُ وَإِنَّمَا * أَرْوَاحُهُمْ فِي مَنْزِلٍ فَوْقَانِي**

فهم مع الناس بالدعوة كما كان المسيح ابن مريم عليه السلام وأمه، كانا يأكلان الطعام، أجسام تمشي على الأرض، لكن أرواحهم أين؟ في مترل فوقاني، قال سبحانه: **{مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ}**. (المائدة: ٧٥).

وقال سبحانه: **{وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ* وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ}** يمشي في الأرض ما يأكل الطعام، **{وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ}**. [الأنبياء: ٧- ٨]. إنهم بشر يأكلون الطعام، و لم يخلدوا في الدنيا.

وقال سبحانه: **{وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا}**. (الفرقان: ٢٠).

وقال سبحانه: **{وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ}** جسد يمشي على الأرض، لكن انظروا إلى معاملته، وانظروا أين هو بقلبه وروحه؟ هو بينكم جسد، يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، ولكنهم يعاندون فقالوا: **{لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا}**. (الفرقان: ٧)، وماذا استفدنا من الرسول إذا كان يأتي معه ملك، لو جاء الملك، أو هو ملك لالتبس الأمر عليهم، **{وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ}**. (الأنعام: ٩).

لذلك من صفاتهم؛ **{وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا}** =وليس ذلك لأجل الدنيا، ولأجل ما في أيدي الناس، لذلك قال سبحانه عنهم: **{إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا}**. [الإنسان: ٨- ٩].

١٥) ومن صفاتهم يخافون على إيمانهم أن يعتريه نقص.

١٥) رعوا الْخَلاَئِقَ وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا * خَوْفاً عَلَى الإِيمَانِ مِنْ نُقْصَانِ**

اعلم أن مراعاة العلم وحفظه بالعمل، ومراعاة العمل بالإحسان، أي الإخلاص لله عز وجل، اعبد الله كأنك تراه، والإخلاص والإحسان يكونان بأن تحفظه من المفسدات، كذلك مراعاة حالك بالمتابعة والموافقة للنبي صلى الله عليه وسلم، كأن نقول لشخص: **أتصلي يا فلان؟** نعم لكن بشكل متقطع، وكأن الصلاة غير مفروضة خمس صلوات في اليوم والليلة.

بعضهم لا يصلي إلا خمس صلوات في الأسبوع.

وبعض الناس يصلي يوم في الأسبوع، وهو يوم الجمعة.

وبعض الناس يصلي يوم أو يومين في السنة، في الأعياد.

وبعضهم لا يأتي المسجد إلا يوما في العمر، وهو محمول على الأكتاف، ونسأل الله السلامة.

فمراعاة العلمِ وحفظه تكون بالعمل، ومراعاةُ العملِ بالإحسان والإخلاص، ومراعاة الحال بالموافقة، أي المتابعة، وحفظه بقطع التفريق، وهذا من كلام ابن القيم رحمه الله.

فالرعاية صيانة وحفظ، (**رعوا الخلائق**)، فمن رعى شيئا حفظه، كمن يرعى الغنم يحفظها ويصونها بجعلها في الأماكن المهمة، التي فيها عشب وماء ونحو ذلك، ويصونها بأن لا تذهب بعيدا فيأكلها الذئب، أو تصاب بجرح ونحو ذلك.

فأنت راعٍ على نفسك، أنت تراعي نفسك بالعلم والعمل، والإحسان والإخلاص والموافقة، وأن تحفظ هذا الأمر عن الانقطاع، فهل من المعقول أن يترك راعٍ أغنامه في الصحراء أو في الغابة، أو في أماكن العشب، ويذهب إلى أهله ويرجع إليها، بدون أن يجعلها في مكان يحفظها فيه؟!

هذا ما يكون راعيا، لابد من رعاية لذلك، فهناك ذئاب كثيرة للأغنام، وهناك ذئاب للبشر هم الشياطين، يسرقون الإنسان، ويسرقون منه إخلاصه، ويسرقون منه عمله الصالح، الذي يكون فيه المتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم، ويجعلونه على غير هدى، وعلى غير ما يحبه الله ويرضاه، إذن من صفاتهم؛ يخافون على إيمانهم من أن يعتريه نقص.

فالإيمان -كما يقول الشيخ حماد الأنصاري رحمه الله- لا يكتمل حتى تكتمل فيه أربع أو خمس نونات، أي أنه جاء بكلماتٍ تنتهي بحرف النون حتى يحفظها الطالب، وهذه الأربع نونات هي مكملات الإيمان، تجعل الإيمان كاملا:

فالأولى: اعتقاد بالجنان القلب، أي التوحيد ...

والثانية: ونطق أو قول باللسان، أي الكلام والشهادتان والذكر...

والثالثة: وعمل بالأركان، كالصلاة والحج...

والرابعة: يزيد بطاعة الرحمن، فكلما أطعت الله زاد إيمانك...

والخامسة: وينقص بطاعة الشيطان، أي بالمعاصي...

قال سبحانه: **{الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ}** وهذا الكلام الذي خوّفوهم به **{فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}**. (آل عمران: ١٧٣)، فمع شدة جراحاتهم من غزوة أحد، لم يخرج مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا من كان معه في الغزوة، خرجوا بجراحاتهم، وقالوا: **{حسبنا الله ونعم الوكيل}**.

وقال سبحانه: **{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ}** وهنا حصر للإيمان، فـــ(ما) هنا كافَّةٌ مكفوفة، كَفَّت (إنَّ) عن عملها، فـــ(إنَّ) أصبحت هنا غير ناصبة، وبعدها مرفوعة، **فـــ (إنما المؤمنون)** للاختصاص، والحصر والاقتصار، **وحصر الإيمان في من؟ {الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ}** خافت وارتجفت **{قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ}** انظر هو لا يقرأ، وإنما يسمع، ومع ذلك؛ **{زَادَتْهُمْ إِيمَانًا}** أي تزيد في درجات الإيمان عنده **{وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}**. (الأنفال: ٢).

فلذلك هم يخافون أن ينقص إيمانهم، لذلك عندما كانوا يستمعون فيما بينهم ما يترل على النبي صلى الله عليه وسلم، قال سبحانه: **{وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ}**. (التوبة: ١٢٤).

عكسُهم الذين لم يؤمنوا؛ زادهم رجسا إلى رجسهم، يعني نقصانا إلى نقصان في إيمانهم حتى انتهى وزال، وهم المنافقون. **{وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ}**. (التوبة: ١٢٥).

قال سبحانه: **{وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا}** أي الذين آمنوا **{زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ}**. [محمد: ١٧]، زادهم إيمانا وتوحيدا، وإخلاصا له سبحانه وتعالى.

١٦) ومن صفاتهم أنهم توجهوا بقلوبهم إلى الله سبحانه.

١٦) عَزَفُوا الْقُلُوبَ عَنِ الشَّوَاغِلِ كُلِّهَا * قَدْ فَرَّغُوهَا مِنْ سِوَى الرَّحْمَانِ**

(عزفوا القلوب)، **ما معنى العزف؟** هل العزف هو العزف على العود؟ لا! هذا شيء، وهذا شيء، ومنه قولهم: (عزفت نفسي عن كذا)، أي امتنعت وابتعدت، واجتنبت وتجنبت، عن الشواغل كلها، أي شغل يشغلهم عن ذكر

الله عن طاعة الله عن عبادة الله سبحانه وتعالى، قلوبهم فرغوها عن هذه الأشياء، قد فرغوها من سوى الرحمن، أي من غير الله عز وجل، لا يوجد في القلب سوى توحيده، سوى محبته، سوى عبادته سبحانه وتعالى، هكذا حالتهم.

أقول في صفاتهم: إنهم توجهوا بقلوبهم إلى الله سبحانه وتعالى، وهذا هو معنى قوله: (عزفوا)، بدل أن ينظروا إلى الدنيا، لم يأخذوا منها إلا ما يقيم أوَدُهم، لم يأخذوا منها إلا ما ييسر عبادتهم وطاعتهم لله عز وجل، يأخذوا بقدر الحاجة، ويتمتعوا بقدر المباح الجائز، لكن الأمر الآخر انشغال إلى أين؟ إلى الله عز وجل.

وهذه حقيقة الزهد؛ كما قال ابن القيم وابن تيمية رحمة الله تعالى عليه وعلى جميع المسلمين:

فالزهد: [الذي هو ترك ما لا ينفع في الآخرة]، عندك شيء موجود، فتركته لأنه لا ينفع في الآخرة، {وكانوا فيه من الزاهدين}، قال:

[**والورع** ترك ما يخاف ضرره في الآخرة]، إذن فهنالك فرق بين الورع والزهد [كما قال ابن تيمية]، وقال عنه ابن القيم: وهو من أحسن ما قيل في ضابط الزهد والورع، إذن فالزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة، وقد يكون مباحا في الدنيا، ويتركه الإنسان؛ لأنه لا ينفعه في الآخرة، لكن لو أكلت الطعام الآن غداءً وعشاء؛ ينفع في الآخرة أو لا ينفع؟

ينفع؛ لأنه يقويك لتطيعَ الله، فلو تصوَّرْت إنسانا لم يأكل لثلاثة أيام، ويقوم ليصلي أو ليحجَّ أو يعبدَ، أو يصلَ رحمه، فكيف يكون حاله؟! يكون ضعيفا متهالكا.

فنيَّةُ الأكل للتقوِّي على طاعة الله؛ هذا لك أجر فيه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لسَعْدِ بْنِ مَالِكٍ: «... **وَلَسْتَ بِنَافِقٍ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ، إِلَّا آجَرَكَ اللَّهُ بِهَا حَتَّى اللُّقْمَةَ تَجْعَلُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ**». البخاري (٣٩٣٦). من باب المداعبة مع الزوجة؛ لأنه يجلب المودة والرحمة الواردة في كتاب الله مع أنها شهوة، ومع ذلك لك أجر عليها.

فهذا ينفعك في الآخرة، النيةُ عند الجماع بالولد الصالح الذي يذكر الله عز وجل، ينفع في الآخرة مع أنه شهوة.

إذن؛ الزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة، والورع ترك ما يخاف ضرره في الآخرة، كأن يقوم ببعض المعاصي، لكن فيها ضرر، لو فعلها الآن يحدث له ضرر في الآخرة فهذا تركه ورع.

هذا هو الزهد، وهذا هو الورع، ومرتبة الزهد أعلى لأنه أبعد عن الضرر أصلا، الزهد لا يقترن بالورع، لأن الزهد يأتي إلى الأشياء المباحة ويفعلها، لكن الورع ينظر فيها إن كانت تضره في الآخرة لا داعي لها، فالزهد أعلى، والله أعلم.

إذا تفرغ القلب عزفوا القلوب عن الشواغل كلها، لماذا يبقى فارغا لابد من ملئه، فلابد من ملءِ مكانه بأفكار نافعة، أفكار وعقائد وتوحيد وقراءة وتدبر وتفكر في آيات الله ومخلوقاته، بأن يملأ قلبه بما يزيد في إيمانه عند الله سبحانه وتعالى، ويرفع درجات الإيمان عنده، ووردت كلمة: **{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ}**. (النساء: ٨٢)، **{أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ}**. (الأنعام: ٥٠)، **{أَفَلَا تَعْقِلُونَ}**. (البقرة: ٤٤)، **{أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ}**. (الأنعام: ٨٠)، ونحو ذلك في القرآن الكريم.

قال: وتفريغ القلب هذا لا بد من ملء مكانه بأفكار نافعة، وتوحيد وقراءة وتدبر وتفكر وكل ما يرضي الرحمن، قال سبحانه: **{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا}**. (النساء: ٨٢)، **{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}**. (محمد: ٢٤)، **{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}**، وهذا هو مقصودنا في العنوان الذي تحدثنا فيه، السائرون إلى الله والدار الآخرة هكذا حالهم، **{رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ}**. (آل عمران: ١٩٠-١٩٢)، **{وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}**. (الرعد: ٣)، وما أكثرها كلمة يتفكرون في كتاب الله سبحانه وتعالى.

١٧) ومن صفاتهم أن أفعالهم ونياتهم وتوجهاتهم لله وحده لا لغيره.

١٧) حَرَكَاتُهُمْ وَهُمُومُهُمْ وَعُزُومُهُمْ *** لِلَّهِ، لاَ لِلْخَلْقِ وَالشَّيْطَانِ

حركاتهم؛ ما يمشون في أمر من الأمور ينوونه لله، كذلك هُمُّهم، فهناك همٌّ، وخاطر، ونية، وعزم، والعزم هو آخر شيء، لكن يسبقه الخاطرة، والنية، وبعد النية الهم، همَّ بعمل صالح فلم يعمله كتب له حسنة كاملة، إذن هم ثم آخر شيء يكون العزم، فيقوم لأنه يريد أن يفعل، هذا كله قبل الحركة، لأنه إذا أراد أن يتحرك تكون خاطرة ثم النية لهذا

الشيء، ثم الهمة، وبعد ذلك تأتيه العزيمة، هذا الأمر كله لله كما قال الله عز وجل: **{قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}**. (الأنعام: ١٦٢- ١٦٣).

وقال سبحانه: **{فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا}**، عندما يأتي البأسُ من الله سبحانه وتعالى؛ سواء كان أعاصير أو زلازل أو عدو، فلو تضرعوا، ويا ليتهم فعلوا ذلك **{وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ}**. (الأنعام: ٤٣- ٤٤)، قطعوا الأملَ والرجاء في الله عز وجل، ومن رحمة الله، هذا مسألة الذي يجعل همه وحركته وعزمه لغير الله سبحانه وتعالى.

وقال سبحانه: **{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ}** فهذا أي مَثَلٍ له؟ **{وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ}** بأن تجري خلفه يلهث، **{أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ}** وهذه طبيعة في الكلاب، وهذا مثل لهؤلاء الناس، **{ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ}**. (الأعراف: ١٧٥- ١٧٧).

فهؤلاء الذين يسيرون إلى الله والدار الآخرة لا يوجد مجال للشيطان أن يستولي على قلوبهم، قد تكون حرب بينهم وبينه، ويكون جهاد، والجهاد مستمرٌّ مع الشيطان في كل لحظة من لحظات الإنسان، فإذا قام يصلي جاء يوسوس له، وإذا قام يتوضأ جاء يوسوس له، لا يريده أن يتوضأ، لا يريده أن يصلي، لا يريده أن يصوم، ولا يريده أن يفعل الخيرات...

لكن السائرين إلى الله والدار الآخرة عندهم محصَّنون بحصونهم، وعندهم أسلحتهم، عندهم قوتهم يستمدونها من الله سبحانه وتعالى، يستعيذون بالله من شرِّ كلِّ ذي شرٍّ هو آخذ بناصيته سبحانه وتعالى، فحركاتهم وهمومهم وعزومهم لله لا للخلق ولا للشيطان.

ويخرج من ذلك -أيضا- غيرُ الشيطان؛ كالرياء والسمعة، يريدُ بعمله هذا وبصلاته وبصيامه يسوِّل له الشيطان أن يريد بذلك الناس، أو من أجل الدنيا، ونحو ذلك، فهذا ليس عند هؤلاء السائرين إلى الله والدار الآخرة.

يذكر ابن الجوزي رحمه الله في كتابه (أخبار الحمقى والمغفلين) أمثلة كثيرة جدًّا عن أناس حمقى في عبادتهم، يعبدون الله عزَّ وجلَّ لأجلِ الناس، كذاك الرجل الذي كان [يصلي، فأخذ قومٌ يمدحونه، ويصفونه بالصلاح، فقطع صلاته وقال: (مع هذا إني صائم!)]. أخبار الحمقى والمغفلين (ص: ١٢٦). مسكين هذا الرجل، وأمثاله، فالحركات والهموم والعزوم.

وأذكر عكس ذلك أيضا؛ أنّ بعضَ الناسِ تعوّد الصدقة من بعض الناس، فجاء آخر فتصدق، فصاروا يدعون للإنسان الأول، لاحظ، والإنسان هذا ماذا له؟ له الأضعاف المضاعفة لأنه لا يُدرَى عنه؛ لأنه هو صاحب الشأن، فالمسألة ليس فيها رياء ولا سمعة، لكن هكذا حال الناس، فالسائرون إلى الله عز وجل هذه من صفاتهم.

١٨) ومن صفاتهم أن رفيقهم وصديقهم نعم الرفيق ونعم الصديق.

١٨) نِعْمَ الرَّفِيقُ لِطَالِبِ السُبُلِ الَّتِي * تُفْضِي إِلى الخَيْرَاتِ وَالإِحْسَانِ**

في النهاية؛ وكأنَّها نصيحة في هذا البيت، نعم الرفيقُ لطالبِ السبل التي تفضي إلى الخيرات والإحسان، لأنَّ من صفاتِهم أن رفيقَهم وصاحبَهم وصديقهم، نعم الرفيق! ونعم الصديق! وهذا يدل على الخُلَّة التي ذكرناها قبل قليل، والصحبة والرفقة، و«**الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ**». مسند أحمد (١٤/ ١٤٢، ح ٨٤١٧)، من يصاحب، من يصادق.

فالخليل والصاحب متلازمان، لأنك عندما تريد أن تعرف شخصا، تسأل عن أصحابه؟ أو تسأل أصحابه عنه، مَن أصدقاؤه؟ من يمشي معه؟

فنعم الرفيق أمثال هؤلاء، الذين يسيرون إلى الله والدار الآخرة، بهذه الصفات السابقة وبغيرها، لذلك يقول صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ لِلَّهِ مَلاَئِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ" قَالَ: «**فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا**» قَالَ: "فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ، مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ" قَالَ: "فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟" قَالَ: "فَيَقُولُونَ: لاَ وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ؟" قَالَ: "فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟" قَالَ: "يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا". قَالَ: "يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟" قَالَ: «**يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ**» قَالَ: "يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟" قَالَ: "يَقُولُونَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا" قَالَ: "يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟" قَالَ: "يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ

رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟" قَالَ: "يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ" قَالَ: "يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟" قَالَ: "يَقُولُونَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا" قَالَ: "يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟" قَالَ: "يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً". قَالَ: "فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ"

قَالَ: **"يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ المَلاَئِكَةِ: فِيهِمْ فُلاَنٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قَالَ: هُمُ الجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ"**. البخاري (٦٤٠٨).

فهم في تقاريرهم عندما يرفعونها إلى الله عز وجل -إن صح التعبير- يكون عندهم دقّةٌ، فيستعرضون الأسماء على الله، فيقولون له: هذا جاء لحاجة، ما كان له نية مسبقة أن يأتي ويحضر من بيته، هو مارٌّ من هنا، ويريد فلان من الناس، لكنه جلس خجلا، أو نحو ذلك، فماذا يكون الحكم عليه؟ **"هم القوم لا يشقى بهم جليسهم"**، إذا كان هذا في جلسة علم، وجاء لغرض، لا يريد حصول على العلم، ولا حضور حلقة العلم، جاء لأمر آخر.

فكيف بالرفقة التي تكون لله من أولها لآخرها، لا لرحم، ولا لحاجة من حاجات الدنيا، وربما تكون الرحم سببا، ولا لتجارة ومال، ولا من أجل زواج، وإنما هي لله، يريد هذه الرفقة والصحبة أن تتعرف عليها، من خلال المسجد، فهو السبب الذي جاء به إلى بيت من بيوت الله.

تعرف عليه في الحج، وبقيت الصحبة والرفقة، نعم الرفيق لطالب السبل التي، السبل والطرق التي تؤدي إلى السبيل الواحد، إلى الله عز وجل، تفضي إلى الخيرات، وهي طريق واحدة اليوم، لكنها يوم القيامة تتفرع.

كما قلت لكم: ليس للجنة بابٌ واحد، البابُ العام واحد، لكن أبواب الجنة ثمانية، فهناك أسباب في الدنيا تجعلك تسير على ذلك، فهذه الأسباب سميت طريقا، وإلا طريق الله سبحانه وتعالى واحد.

(**فنعم الرفيق**) هذا مدح من الشيخ رحمه الله، ونعم؛ من أفعال المدح، لطالب السبل التي تبحث عن الصاحب الذي يؤدي بك بصحبته ورفقته وصداقته إلى الخيرات عند الله عز وجل، إلى الإحسان عند الله عز وجل، يحسن إليك ربك سبحانه وتعالى.

قال سبحانه: **{وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ}** ساعة الغدو **{وَالْعَشِيِّ}** ساعات المساء، والعشيُّ يبدأ من بعد صلاة الظهر، فإذا أذن الظهر دخل وقت العَشي، أما إذا أذن المغرب فقد دخل وقت العشاء **{يُرِيدُونَ وَجْهَهُ}** النية

وجه الله عز وجل **{مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ}**. (الأنعام: ٥٢)، في هذا عدم طرد هؤلاء، حتى وإن ضايقوك.

قال سبحانه:= **{وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ}** أي لا تتخذ صحبة ورفقة لأناس أغفل الله قلوبهم **{عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا}**. (الكهف: ٢٨).

لذلك الجماعة الطيبةُ، جماعةُ المسلمين، أتباعُ النبي صلى الله عليه وسلم؛ كلٌّ من قال:

لا إله إلا الله، على درجاتهم، والتفاوت بينهم هم يدخلون في قول الله عز وجل: **{وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ}**، وانظر إلى هذه الرفقة الطيبة؛ **{مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا* ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا}**. (النساء: ٦٩- ٧٠)

إذن؛ على الإنسان أن يبحث عن رفقة تسره يوم القيامة، وإن ساءته في الدنيا، لكن إن بحث عن رفقةٍ سرته في الدنيا والآخرة كان أفضلَ وأفضل؛ لأنه إذا ساءته في الدنيا وسرته في الآخرة ربما يحدث له محنة، وضيق وضنك، لكن الإنسان يبحث دائما عن ما يسهل عليه أمور العبادة والطاعة في الدنيا والآخرة، لذلك في هذه الحياة الدنيا، أنت تبحث بنفسك، أو تسأل غيرك عن من ترافق، وعن من تخالف، وعن من تصاحب، حتى تكون فعلت شيئا مع السائرين إلى الله والدار الآخرة، لذلك نقول:

نسأل الله عز وجل أن يوفقنا جميعا للعمل، والإخلاص للسير على الطريق الصحيح، الموصول إلى الله سبحانه وتعالى والموصل إلى رضاه، وإلى ما عنده من جنات ونعيم، في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

ربنا اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين.

اللهم وحد صفوفنا، **اللهم** ألف بين قلوبنا، وأزل الغل والحقد والحسد والبغضاء من صدورنا، وانصرنا على عدوك وعدونا، برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم لا تدع لنا في مقامنا هذا ذنبا إلا غفرته، ولا هما إلا فرجته، ولا مريضا إلا شفيته، ولا دينا إلا قضيته، ولا مبتلىً إلا عافيته، ولا غائبا إلا رددته، ولا سجينا إلا أطلقته، ولا أسيرا إلا فككته، ولا ميتا إلا رحمته، ولا ضالاً إلا هديته، ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة هي لك رضا ولنا فيها صلاح، إلا أعنتنا على قضائها، ويسرتها يا أرحم الراحمين.

اللهم اغفر لنا جميعا؛ الموجودين والغائبين، والمحبين ومن تأخر عنا لعذر يا رب العالمين، فكن معه وحل عذره، وفكَّ دينه، يا رب العالمين.

وكذلك لا ننسى أن بعض إخواننا كان متأخرا يريد أن يأتي ربما ومنعته حاجة، **فنسأل الله** أن يغفر للجميع، وأن يكتب ثواب ما جلسنا هنا إلى من حضر وشارك، أو من همَّ وعزم، و لم يأتِ، أو نوى ومنعه مانع.

فنسأل الله أن يجعل ذلك في موازين حسناتنا جميعا يا رب العالمين.

هذا والله تعالى أعلى وأعلم

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

وبارك الله فيكم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته